

مذڪرات هونودراميه

صباح الأنباري

SABAH ALANBARI

مذكرات مونودرامية

Monodramatic Memoirs

نصوص مسرحية صائتة

plays

الطبعة الأولى
1436 هـ - 2015 م

ردمك 1-1324-02-614-978

جميع الحقوق محفوظة

منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING
editions.difaf@gmail.com
هاتف بيروت 009613223227

لوحة الغلاف للفضان سلام الشيخ

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشرين

المحتويات

7.....	الفصل الأول: ألواح ورقم مونودرامية
9.....	مونودراما سدرة في حديقة الأمة
29.....	مونودراما جندي في نصب الحرية
49.....	مونودراما عامل في جدارية فائق حسن
67.....	الفصل الثاني: نصوص مونوسبايكرية
69.....	قبل الموت بخطوات ثلاث
87.....	اطلاقه واحده حسب
113.....	حكايات السيد الكرسي
139.....	الفصل الثالث: مونودرامات تعاقبية
147.....	أسئلة الجلاذ والضحية
173.....	القاصّ والقنّاص
217.....	القتيل والقاتلة

الفصل الأول

ألواح ورقم مونودرامية

مونودراما
سدرّة في حديقة الأُمَّة

قبل العرض:

(نشاهد نصب الحرية لجواد سليم مهيمناً على واجهة المسرح كإطار أمامي للخشبة. ومن بين قائمتي النصب نرى على أسفل يمين المسرح تمثال الأم لخالد الرحال، وعلى يساره في العمق جدارية فائق حسن. تتوسط المكان شجرة سدر ضخمة جداً تهيمن أغصانها وفروعها على فضاء المسرح، وإلى جانبيها شجرتا نخيل بسعف متيبس وبضع سعفات خضر في قمتيهما. يظهر خلف السدرة على جدار (السايكلوراما) ظل امرأة بحجم الشجرة. يتحرك الظل قليلاً فيصغر حجمه رويداً رويداً حتى يبلغ حجم امرأة حقيقية، وحين يندمج الظل بالأصل تتقدم المرأة من جمهور النظارة بثقة لتوجه كلامها إليه مباشرة)

الشجرة: أنا شجرة السدر هذه (تشير إلى الشجرة الضخمة) عام 1937 غرزت هنا في هذه الحديقة الغناء، (تتوقف مستدركة) أقصد التي كانت غناء، بأمر من الملك غازي الذي سميت الحديقة باسمه. وبعد أن ساح على هذه الأرض دم ابنه فيصل الثاني وهو ثالث ملك للعراق صارت تعرف باسم (حديقة الأمة)⁽¹⁾. كان الملك

(1) حديقة الأمة تتوسط مركز العاصمة بغداد وفيها نصب العراق المهمة: نصب الحرية للفنان العراقي الراحل جواد سليم، وتمثال الأم للفنان الكبير خالد الرحال، وجدارية السلام للفنان المبدع فائق حسن، وامامها ساحة التحرير وهي من أشهر ساحات بغداد.

غازي يحبني كثيراً، وأثرتني على بقية الشجر، وربما بسبب انتمائي للصحراء العربية أثار زرعني هنا في هذه الحديقة فقد كان رحمه الله يحب الأشجار العربية كما يحب الخيول الأصيلة، وهو يعرف حق المعرفة أن آدم أول البشر كان قد أكل من ثماري بعد هبوطه من الجنة مباشرة.

ويوم قتل الملك غازي بحادث سيارة مزعوم جاء أحدهم، وتبوّأ على ساقبي ربما نكاية بي أو ربما كرهاً للملك الذي أحبني وكره الانكليز، ولم يعد يطبق وجودهم هنا (متفززة) آه لو تعرفون كم كانت رائحة ذلك السكر كريمة ومقرزة. قال لي وهو في نشوة السكر:
(تقلّد صوت السكر)

أعرفت بموته يا بنت ال... نعم أعرف أنك عرفت ولكن جئت لأمنحك بركات غيابه الأبدي. امليتي جوفك بهذا الماء القراح.. هه هه هه هه هه هه.. (تعود لشخصيتها) غادرني مترنحاً، وعلى مبعدة بضعة أمتار رأيت جندياً أدّى له التحية العسكرية، وفتح له باب سيارة ليحشر نفسه فيها. لم أعرف اسم ذلك السكر، ولم أتبيّن ملامحه بسبب ضعف الإضاءة ورداءتها. وحين غادر ظننت أنني سأنام ليلتي بهدوء لكنني فوجئت بمجموعة من السكراري وهم يتندرون على موت الملك، ويضحكون ما شاء لهم

الضحك، ويصفونه بالعميل. قال أحدهم:

(تقلد صوته)

مات عميل الألمان. وقال آخر:

(تقلد صوت الآخر)

فليسقط العملاء جميعاً. ثم ازددت خوفاً باقترابهم مني
(تتراجع خائفة) لأنني توجّست خيفة وأنا أرى الشرر
المتطاير من عيونهم المصوبة نحوي بإصرار. قال الرجل
الأكثر سكرًا موجهًا كلامه اليّ مباشرة:

(تقلد صوته وترنحه)

من يزرع العمالة لا يحصد إلا ثمارها. وأنت (تشير إلى
شجرة السدر) من غرّز عميل سقط وعليك أن تسقطي
أيضاً أيتها العميلة. تفو عليج وعله اللي خلفوج.

(ترجع لشخصيتها السابقة)

وراح يكيل لي رفساً لولا سكره الشديد لترك على ساقني
ندباً وقروحاً.

(تستمر في سرد الحكاية)

في تلك الليلة السوداء حسب، تعرّفت على قسوة الناس
للمرة الأولى وميلهم الشديد للعنف ولم أعرف أن هذه
القسوة ستنال مني أنا أيضاً.

(تتحرك صوب الشجرة.. تقف وراءها)

ففي صباح اليوم المشؤوم الثاني حضر رجل متوسط
العمر وأنقض عليّ ضرباً ببلطته الجارحة حتى كادت

أنفاسي تتوقف بشكل نهائي.
(تتحرك بشكل موضعي لتفادي ضربات الرجل)
صرخت بوجهه بأعلى ما أستطيع:
(تخرج نصف جسمها من وراء الشجرة)
اغْرُبْ عن وجهي أيها السادي فتوقف عن الضرب، وسأل
نفسه باستغراب:
(تخرج من وراء الشجرة. تواجهها مقلدة شخصيته)
ممکن يكون أحد هنا؟! (يتفحصها) لا لا ممكن (بتردد)
بس أني سمعت الصوت جاي منّا.
(يشير إلى المكان ثم يتحرك صوب الجمهور ثلاث
خطوات)
يجوز تكون مسكونه مثل ما يگولون لو أني داأتوهم؟..
وشنو يعنى سادي!؟
(يتحرك صوب الجمهور بصمت مستغربا.. تعود
لشخصيتها)
قلت والدموع تنهال من عيني:
(تلتفت إلى المكان الذي أقبل منه)
هذا هو صوتي أيها السادي، وهذه أنا سدره حديقه
الأمه. من قطع جزءاً مني قطع الله فرداً من أفراد عائلته.
ألا تعرف أيها الغبي أنني من الأشجار التي بارك الله
فيها؟!... يا لك من مجرم تافه حقود.
(تلتفت لجمهور النظارة ثم)

ظَلَّ الرجل واجماً لا يريم وقد عقدت لسانه الدهشة،
وشلَّت يدهُ المفاجأة، وأصابه الدهول. لا أعرف حقيقة
لماذا ينسى الناس في لحظة من اللحظات كلَّ ما تقدمه
لهم من علاج، وثمر، ومذاق مميز، ويتذكرون فقط أنك
عَرَز عميل لا لشيء إلا لكونك عشت هنا بينهم بأمر
من الملك الذي زعموا بعمالته وأصرّوا على تسمية
تحالفه عمالة؟ لقد كان الملك فيصل الأول عميلاً في
نظرهم أيضاً! ولهذا دسّوا له السمّ في الإبر التي أوصى
الطبيب بزرقها في جسمه ليعلنوا عن موته في الوقت
الذي أكّدت التقارير الطبية قبل موته بيومين فقط أنه
بحالة صحية جيدة.. قلت مطمئنة نفسي لا بأس عليك
سيعلم الناس حقيقة الأمر، وسيعيدون النظر في مسألة
العمالة لكنني فوجئت صبيحة الرابع عشر من تموز⁽¹⁾
بقتل الملك الثالث ووصيه على العرش وأفراد عائلته
جميعاً بتهمة العمالة أيضاً، بينما تم سحل رئيس الوزراء
بسيارة طافت به شوارع بغداد الحزينة.

(بنفور واستنكار)

يا الله. ما أشدّ هذا العنف... أنا شجرة معمرة قوية جداً
ولكنني أمام هذه القسوة أكاد أسقط، ويغمى عليّ إلى أبد
الآبدین فكيف بهؤلاء البشر؟ هل قدّت قلوبهم من نار؟

(1) وهو اليوم الذي أسقط فيه النظام الملكي في العراق، واستبدل بنظام
جمهوري عام 1958.

هل وضعوا بين جوانحهم أحجاراً صمّاء؟
(بتصاعد أشد) هل فقدوا في لحظة هياج إنسانيتهم؟
هل...

(تتوقف فجأة ثم بقرار هادئ)

ما نفع أن نسأل أنفسنا وما من جواب؟ حسنا سقطت
المملكة، وسقط ملوكها الهاشميون، وحلت الجمهورية،
وزعماؤها الوطنيون، واستبشر الناس خيراً، وراح الزعيم
يقدم للناس ما لم يقدمه لهم غيره حتى قدّسوه، وألّهوه،
وظهرت لهم صورته على وجه القمر. تصوروا إننا معشر
الشجر صدّقنا ذلك أيضاً

(ترفع رأسها باحثة عن القمر)

ورحنا ننظر إلى القمر طواعية وفضولاً علناً نرى عليه ما
رآه الراؤون. لم أكن أطول شجرة في حديقة الأمة لهذا
استنجدت بالنخلة التي تقف قريباً مني.

(تشير إلى النخلة ثم توجه الكلام إليها)

هيه أنت أيتها العيطه⁽¹⁾ هل ترين صورة الزعيم على
وجه القمر؟ كركرت النخلة حتى كاد يغمى عليها من
شدة الكركرة

(تتوجه متحركة صوب النخلة)

وبعد أن هدأت قليلاً قالت بصوت حزين:

(1) العيطه في اللهجة العراقية الشعبية هي النخلة الطويلة وفصيحتها عيطاء.

(تقلد صوت النخلة)

أه لو تدرين كم أشعر بالمرارة وأنا أسمع ما يتفوه به هؤلاء البشر من تُرّهات. يكذبون على أنفسهم، ثم يصدّقون كذبهم، ويؤمنون به كواقع حال حتى أن شجرة عاقلة مثلك تتأثر بتلك الأكاذيب وتستفسر عنها. أآآآآآآ آه ما أشدّ بؤسنا ونحن نلوك أوهامنا كلّ يوم.

(تعود لشخصيتها. تتقدم من جمهور النظارة)

أذهلتني إجابتها، وأعادتي لوعيي.

(تسأل الجمهور)

هل فقدت قدراتي العقلية وأنا أطرح على النخلة مثل هذا السؤال الغبي؟ أظن أنني فقدت عقلي فعلاً بسبب الإيحاء الجمعي.

(تبدو كما لو أنها سمعت صوتاً قادماً من جمهور النظارة فتكرر ما سمعته)

ماذا يعني الإيحاء الجمعي؟

(تبحث عن مصدر الصوت)

حسنًا دعوني أروي لكم هذه الحكاية التي قرأتها في ريبورتاج صحفي تحت عنوان ((ركضة الباب الشرقي))⁽¹⁾

(تقترب من إحدى قائمتي النصب)

(1) عن جريدة المدى.. العدد 2692 - الأحد 6 كانون الثاني 2013 ريبورتاج

تحت عنوان جولة في العالم السفلي لسوق الباب الشرقي!

عندما زرع الساسة الأمان، والاطمئنان، والسلام، وزرعوا الخوف والفتنة بين الناس كثر اللصوص والسراق الذين اتخذوا من حديقة الأمة مكاناً لتجمعهم. كانوا يجلسون بقربي، ويتباحثون بوسائل سرقاتهم، وتجديد تلك الوسائل. اتفقوا ولم أعرف على ماذا اتفقوا لكنهم في اليوم الثاني نفذوا الاتفاق إذ ركض بعضهم متصنعاً الهرب من كلّ حذب وصبوب وكأن وحشاً ما يطاردهم فامتدّ الذعر إلى الناس وراحوا يهربون من المجهول الذي يطاردهم تاركين وراءهم كلّ شيء. (1) الجناب

والبسطيّات وأشياءهم الثمينة وغير الثمينة. وبعد أن توقفوا عن الركض، وعادوا إلى أماكنهم بدأ الصراخ يعلو من كلّ جانب:

- انباگيت.. ولكم والله انباگيت.

- انباگت فلوسي.

- انباگت بسطيّتي كلها.

ثم تبين للجميع أن عصابة من السراق ابتكرت وسيلة جديدة تتلخص بركض مجموعة تطالب الناس بالهرب بينما تسرق مجموعة ثانية ما تركه الباعة من الثمين وغير الثمين على أرضفة حديقة الأمة. طبعاً لم يفكر أحد قبل

(1) الجنبر هو عبارة عن مربعات أو مستطيلات من الخشب تعرض في خاناته البضاعة أما البسطية فهي قطعة من القماش القوي توضع عليها البضاعة لغرض البيع.

هذه العصابة بهذه الوسيلة التي استثمرت خوف الناس من أي شيء يلحق بهم الأذى، أو يخطف منهم الأرواح. لقد استجاب الناس لهذه الركضة بعد أن أوحى لهم اللصوص بذلك فأنت تقلد أحياناً ما تقوم به الجماعة من دون أن تكون ثمة فسحة كافية لشحذ افكارك المضادة. لم يكن الزعيم الجديد عميلاً لأحدٍ ما، أو قوة ما، ولم يكن تابعاً لأحد. كان نزيهاً جداً، ووطنياً جداً، ولم تكن له ثمة عداوات أو ثارات شخصية، أو سياسية ومع هذا تمت تصفيته جسدياً في مبنى الإذاعة والتلفزيون الذي بث صورة له

بعد موته وكان واحد من انضباط العسكر ماسكاً شعره، وساحباً إياه إلى الخلف ليصق عليه.

(تهمّ بالبصاق على شخصية تتوهم وجودها في جانبها الأيمن لكنها تتوقف استحياءً)

آه كم شعرت بالخزي لمرأى تلك البصقة المستهترّة وكأنهم لم يكتفوا منه إلا بها.

(تحاول الاستذكار)

أتذكّر أنه كان يزور بعض الأماكن هنا أو هناك ليلاً بسيارته من دون رتل حماية أو رتل أبهة تليق به كزعيم للعراق. وفي ليلة لا أتذكر تاريخها حضر إلى هنا.

(تقف في المكان الذي حددته)

وقف أمامي بالضبط وهو يتأمل شيئاً ما هكذا

(تقلد طريقة تأمله بحركة متقنة ثم تتوقف)
أردت أن أسأل عنه لكنني اعتبرت ذلك فضولاً مني
فسكتُ. وفي اليوم الثاني بدأوا ببناء هذا النصب.
(تقف إلى جوار نصب الحرية)
ثم وضعوا هذا التمثال هنا بلونه الكلسي الأبيض.
(تقف إلى جانب تمثال الأم)
وبعد ذلك بقليل شيّدوا ذلك الجدار (تشير إليه) ليرسم
عليه الفنان العراقي فائق حسن جدارية السلام.

مات الملك الأول مسموماً، والثاني بحادث مروري
مزعوم، والثالث رمياً بالرصاص. ومات الزعيم برصاص
قوميّ ليصعد إلى دست الحكم رئيس وحدوي مجايل
للزعيم.

مرة رأيتهما في استعراض عام وكُلّ واحد منهما على متن
ناقلة يشيران للمتظاهرين إشارتين مختلفتين. كان الزعيم
يرفع سبابته معقوفة (على هيئة منجل) ليجامل بها هتاف
الشيوعيين. وكان الآخر يرفع سبابته مستقيمة (على هيئة
الرقم واحد) ليرد على هتاف القوميين الوحدويين. من
يومها توقعت مصيراً واحداً للطرفين. تسلّم الوحدوي
الحكم الذي شارك فيه القوميون والبعثيون إلى أن حدثت
مهزلة كبرى حين قام الوحدوي كرئيس للجمهورية
بانقلاب على نفسه لاستبعاد خصومه

فما كان منهم إلا أن دبروا له حادث طائرة مزعوم فسقط
محترقاً. قال أحد السكارى وهو يتبول عليّ ليلاً:
(تقلد شخصيته)

أعرفين يا بنت ال... منو اللي "صعد لحم ونزل فحم"؟
أني أكلج منو. النذل اللي غال على نصب الحرية: شنو
هالغاريك، وليس ما تخلصتو منها لحد الآن (يحييها
بيده متشفياً) سلام.

(تعود لشخصيتها)

ابتعدَ عني مكتفياً بشخّة طويلة أغرقت جذوري بزفرتها
القاتلة، وأصابتني بحرقه شديدة، وبقرف تجاوز حدود
تحملي كشجرة معمرة قوية. تمنيت حينها لو تغلق الدولة
بارات الباب الشرقي كلّها لأتخلص من قرف السكارى
في آخر الليل. على أية حال رحل الرئيس الوندوي ليحل
محلّه ووندوي آخر لم يدم له الحكم إلا بضعة أشهر
حين خلعه، ونفوه، ونصبوا آخر رئيساً بديلاً، وراحوا
يعيشون في العراق فساداً ودماراً. وكما قام الوندوي
الأول بالانقلاب على نفسه انقلبوا على أنفسهم زاعمين
أن ثمة دخلاء اغتصبوا عروس الثورات⁽¹⁾ وتركوها تنزف
حتى الموت. قتلوا حلفاءهم وتابَعوا البقية خارج البلاد

(1) عروس الثورات هي التسمية التي اطلقت على الانقلاب البعثي عام
.1963

وأردوهم قتلى فصفت لهم الأجواء وتفرغوا لقتل الرئيس الجديد بدس سم الفئران في أقداح الشاي الذي تعود على شربها كل يوم حتى وهنت قواه وصار نائبه يدير شؤون البلاد والعباد كما يحلو له حتى جاءت اللحظة المنتظرة فأجبر على الظهور في التلفاز ليعلن تنحيه عن السلطة لأسباب صحية، وتسليم مقاليد الأمور لنائبه، ثم غادر القصر الجمهوري ليموت بعد ذلك بوقت قصير.

قتل الملك الأول، وقتل الثاني والثالث. قتل الزعيم، والرئيس، وأخيراً وليس آخراً قتل الرئيس الجديد. قلت لصديقتي النخلة أليس هذا ما حدث فعلاً؟ أجابتنى والدموع ملء عينيها.

(تقلد صوت النخلة)

نعم. هذا ما حدث بالضبط ولم يتعظ أحد. لا يزال الناس يطبلون، ويزمرون،

ويصنعون من القادة أبطالاً وهميين وآلهة من تمر، ثم يصدّق القادة أنهم آلهة فعلاً فيقتلون، ويزهقون الأرواح فراداً وأفواجاً، ويلتذون بمرأى سيول الدم حتى تجري من تحتهم أنهاراً.

(تعود لشخصيتها)

ثم أجهشت النخلة ببكاء شديد. تمنيت لو أنني لم أطرح عليها مثل هذا السؤال المؤثر. لو لم أسق إليها تلك الحقيقة المرّة كالعلقم. لو لم أذكرها بما يجري

للناس (تتوقف عن الكلام) يلهه.. "ما كل ما يتمناه المرء يدركه"⁽¹⁾... وربما تتغير الأمور ويشذ النائب الذي صار رئيساً للبلاد والعباد عن قاعدة القتل فيفوز بالراحة الأبدية. وربما... (تتوقف فجأة)

لكنه فاز بها فعلاً، وما عاد له من الخصوم غير أولئك القابعين تحت خيمته الخضراء الذين تفرّغ لهم فألقى بهم إلى الجحيم.

في تلك الفترة من حياتي شعرت بالأمان المبطن، والسلام المدجن، وتخلّصت من السكارى، ومن الذين يناصرونني العداء حين قاد الحملة الإيمانية التي أفضت إلى غلق البارات، وقتل العاهرات (مستدركة) عفواً، أردت أن أقول القوادات وليس العاهرات فاغفروا لي زلّة لساني. وصار يتردد عليّ رجال يرتدون البدلات الزيتونية اللون يتبعهم عدد من الرجال ذوي العيون الكبيرة المفتوحة الواسعة. وبوجودهم حرمت من مرأى الشباب الذين يقدون إلى الحديقة من أجل الاتفاق على متعة عابرة أو من أجل التمتع بمرأى زهور الأمة، وصار الناس يمرّون من بوابة الحديقة أسفل نصب الحرية من دون أن يلتفتوا ذات اليمين أو ذات اليسار ليخرجوا من بوابة الأمة الخلفية دون أن يلتفتوا إلى الوراء. شعرت

(1) من قصيدة للمتنبى مطلعها:

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن.

بالأمان وفي الوقت نفسه شعرت بالجدب والخواء لكن شعوري هذا لم يدم طويلاً إذ راحت الصواريخ تنزل على حارات بغداد، وحدائقها مانحة الخوف، والقتل الجماعي للبغداديين جميعاً.

سنوات طويلة ونحن نئن ونبكي في حديقة الأمة تأسفاً على أرواح الشباب. فمن حرب إلى حرب. ومن جوع إلى جوع، و"ما مرَّ عام والعراق ليس فيه جوع"⁽¹⁾.. في تلك الحروب كنت أبكي على نفسي بكاءً أشدَّ من بكاء النخيل. وكان جلَّ خوفي أن تنزل عليَّ النازلة فتمحي أثري أنا الوحيدة التي لا خلف لها في حديقة الأمة. سألت مرة وزير الدفاع حين زار الحديقة بعد انفجار صاروخي:

يا سيدي الكريم هل من فائز وخاسر في هذه الحرب الطويلة؟ أجنبي مبتسماً.
(تقلد شخصيته)

"ليس في الحرب فوز وخسارة.. الحرب كلها خسارة"⁽²⁾ وبعد فترة وجيزة سمعت أنه قتل بحادث

(1) من قصيدة الشاعر العراقي بدر شاكر السياب انشودة المطر والتي يقول فيها:

وكل عام حين يعشب الثرى نجوع ما مرَّ عام والعراق ليس فيه جوع.
(2) تصريح وزير الدفاع العراقي عدنان خير الله في لقاء تلفزيوني مسجل إبان الحرب العراقية الإيرانية.

طائرة مزعوم.. أقيمت له مجالس العزاء الضخمة في كل مكان وفي المجلس الذي أقامه والده سمع الناس ذلك الوالد يقول: لقد قتله.. والله لقد قتله.. حقيقة أنا لا أعرف مدى دقة هذا الكلام ولكن هذا ما شاع بين الناس وقتذاك.. أما عن نفسي فقد تنبأت له موتا كهذا حين رأيته في جلسة تلفازية مع الرئيس الذي تعود الكل مناداته بـ"سيدي الرئيس" إلا هو فقد كان يناديه بـ"سيادة الرئيس".

عندما اشتد الحال، وسار من سيء إلى أسوأ، وضعفت قدرات البلد، وكادت تصل إلى الحضيض فكر الرئيس بإنقاذ الموقف فدخل الكويت وكان دخوله قد جلب البلاء والعزاء بدلا من العز والثراء.. انهالت علينا الصواريخ مرة أخرى حتى أضاءت مدينة بغداد المظلمة.. وكان الشرر المتطاير يبدو لنا أشبه بألعاب نارية في كرنفال وطني. خسر الرئيس الحرب. ترك الغزاة "يدخلون أفواجا من كل فج عميق" ولاذ بحفرة آمنة. شعرت بالأسى لمراى أحد الغزاة وهو يتفحص فمه، وشعره الأشعث الطويل. (توجه كلامها لجمهور النظارة مباشرة)

لا تظنوا بيّ الظنون. أنا لست معه أو مع غيره، و فقط أقول ما يمليه عليّ

ضميري كشجرة مخضرمة شريفة رأّت ما لم يره غيرها. وجايلت الحكومات واحدة بعد أخرى إلى أن قُطِعَ ساقِي

بأمر منه، ولم أعد قادرة على الرؤية...

(تسمع همسا قادما من الجمهور فتكرر ما سمعت)

لماذا؟ لأنه اعتقد أن وراء كل شجرة عدو يتربص به
وبزبانيته.. وهكذا بقيت بلا ساق حتى هذه اللحظة فلا
يأخذن أحدكم الفضول فيبحث عني في حديقة الأمة..
أنا الآن مجرد جذور معاقة تسمع ولا ترى، وحين أود
الرؤية فأنتني أسأل النخلة لتتنقل لي ما يحدث في الأمة
بالضبط.. قالت لي النخلة ذا مساء:

(تقلد صوت النخلة)

تربص الغزاة به، وأخرجوه من حفرته، وسلموه لحلفائهم
فحكموا عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت.

مات الرئيس، وشاع بين الناس أنه لم يمت، وأن بديله
هو الذي تلقى الحكم بالإعدام نيابة. وظهرت صورته
على وجه القمر مثلما ظهرت صورة الزعيم من قبل فهلل
الناس، وكبروا، ونقلوا رؤيتهم إلى كل محبيه. المشكلة
أنهم صدقوا ما سمعوا، وعاشوا على أمل عودته يوماً ما.

(إلى الجمهور)

دعوني أسألكم رجاءً. هل يوجد بينكم من ينتظر أوبته
من الموت؟

(تنظر في القاعة مفتشة)

لا أحد؟ حسنا هذا يدلّ على أنكم من طينة أخرى أشدّ نقاءً، وأكثر وعياً، ومن الضروري أن أخبركم إنني توقفت عن البوح لأنني لم أعد أرى شيئاً إلا ما تنقله صديقتي النخلة الصبور. ولهذا سأتركها تكمل مذكراتي بالنيابة عنّي. أما أنا فسأمثل لكم دورها بالضبط.

(تمثل دور النخلة)

دخل الغزاة بغداد بعد أن دمروها. ساروا في شوارعها وهم يلقون التحية على الناس.

(تسير منتقلة بين الأماكن وهي تحيي الناس)

وكان كثير من الناس يردون التحية موهمين أنفسهم أن الغزاة يحملون إليهم الخلاص المنتظر. دخلوا بغداد وتركوا الحدود مفتوحة لكلّ من هب ودب. أمروا بحلّ القوى الأمنية كلّها ليسهّلوا دخول الهابين والدابين إلى الوطن فدخلت أفواج الناقمين، والحاقدين، والموتورين، والارهابيين والسلفيين، والموساديين، والوطنيين غير الشرفاء، و إلخ... أمروا أيضاً أن تدمّر الآلة الحربية تدميراً شاملاً. ثم تركوا البقية للقادمين عبر الحدود فاغتال الموتورون رجال القوة الجوية، واغتال الموساديون رجال العلم والثقافة، واحرق الناقمون المكتبة الوطنية ومسرح الرشيد، وسرق الحاقدون المتحف الوطني ومركز الفنون. أما كنوز العراق النفطية فكانت من حصتهم فقط. وبعد أن أنهوا مهمتهم غادروا العراق

مخلفين وراءهم بعض الحريصين على إكمال ما بدأوا به فتزعزع الأمان والاطمئنان، وراح الفساد ينهش في بدن البلاد طويلاً وعرضاً، وتشكلت المافيات السياسية، والعصابات اللصوصية، والتكتلات العشائرية، وبدأ الناس يعزفون ويرقصون على ايقاع الطائفية والمذهبية حتى صاروا ينهشون لحم بعضهم بعضاً بتلذذ واشتهاء عجيبين، وتربع على رقعة الشطرنج الذهبية رجل تشبث بالديموقراطية ولكنه سرعان ما تنكر لها كبذعة محرّمة وافدة لا ينبغي أن يأخذ المسلمون بها فيتحمّلون جرائمها إلى يوم القيامة.

توقفت عن تمثيل دور النخلة عندما أعلنت النخلة عن نبوءتها ببقاء الحال على ما هو عليه إلى أجل غير مسمّى، وهذا هو ما خشيت منه كشجرة معمرة معاقة ومصابة بالتشاؤم القهري، ولم يبق لها إلا أن تعود.

أوقفت نزيف مذكراتي، وضمّدت بعض جراحي، وامتصت المزيد من مياه دجلة وغرينها في محاولة مني لصنع جذع جديد لكنني فشلت فقررت العودة من حيث أتيت.

(تتصاعد الموسيقى بينما تتحرك هي إلى المكان الذي بدأت بالظهور منه في بداية المسرحية. يكبر ظلّها حتى

يصير بحجم الشجرة ثم يبدأ الاثنان بالاختفاء تدريجياً.
تستمر الموسيقى حزينة مشفوعة بالمزيد من الأسى
واللوعة).

انتهت

أديلايد بداية عام 2013

مونودراما

جندي في نصب الحرية

ألا يمكن أن يكون الحكام ضحايا شعوبهم؟؟؟؟

د. عبد الحلیم المدني

قبل العرض:

تطفأ الأضواء في الصالة. يرتفع تدريجياً، خلال الظلام، صوت مارش عسكري. تفتح الأضواء تدريجياً على مكونات نصب الحرية⁽¹⁾ (المعلق في فضاء المسرح) تركز دائرة ضوء حمراء على منتصف النصب حيث يقف الجندي الذي يحطم القضبان الحديدية معلناً ثورته وتحرره من القيود، تتبعها إضاءة خافتة على أجزاء الخشبة نرى خلالها الممثل بوضع مماثل لوضع جندي النصب. بقعة ضوء أحمر تتركز عليه فتعزله عن بقية أجزاء الخشبة. يستمر المارش لحظات قبل تحرك الجندي، وتوجهه إلى جمهور النظارة مباشرة:

الجندي: (بشخصيته كممثل)

لا تستغربوا وجودي هنا رجاءً. أنا جندي هذا النصب.

(يشير إلى النصب المعلق في فضاء المسرح)

وصلة وصله بين الحاضر والماضي. وضعني جواد سليم هنا.

(يشير إلى مكانه على منتصف الخشبة ثم يسمع صوتاً

يقاطعه من الصالة فيكرر ما سمعه)

(1) نصب الحرية: هو النصب الذي شيده الفنان العراقي الراحل جواد سليم في وسط بغداد العاصمة ليمثل نضال الشعب العراقي من أيام سومر وأكد الى تأسيس الجمهورية العراقية وما قدمته من الانجازات المهمة.

من هو جواد سليم؟! دعكم منه الآن. سأحدثكم عنه في الوقت المناسب.

(يعود لشخصيته)

وضعني هنا لأنه كان موقناً إنني مركز كل الأحداث، والتغييرات، والانقلابات، والانتصارات، والبلاء العظيم من أيام فجر السلالات وإلى يومنا هذا، فهل أراد الاحتفاء بأمجادي؟ أم أراد أن ينبهكم إلى ما اقترفته من خيبات، وما جررته عليكم من ويلات وحروب؟

بعضكم ظنّ أنني أنا الزعيم. مع أنني لست بأكثر من جندي خبر القتال، وعرف كيف يضرب بالسيف والبندقية الآلية، ولا ألومه على ظنّه فأنا هو فعلاً، وأنا غيره في أن واحد. أنظروا إلى يمين النصب وقولوا: من أنا؟

(فترة صمت قصيرة ينظر خلالها لجمهور النظارة مفتشاً عن جواب بلا جدوى)

أنا قدت كل هؤلاء الناس.

(يشير إلى بداية النصب من اليمين)

من سومريين وأكديين وبابليين، وباختصار شديد كل الذين سكنوا بلاد ما بين النهرين. هل تريدون أن أذكر لكم أسماء الملوك، والزعماء، والرؤساء الذين قاتلت معهم في هذه البلاد؟ (يتوقف قليلاً) لا أظن أنكم تريدون.. فقد قرأتم عنهم في كتب التاريخ أيام كنتم طلاباً في المدارس، ورواداً في التظاهرات ترددون

كالبيغاوات:

(نسمع صوتاً جماعياً من جانب المسرح الأيمن)

يعيش يعيش يعيش.

(نسمع صوتاً جماعياً يردد من جانب المسرح الأيسر)

يسقط يسقط يسقط.

(يسأل الجمهور في نصف القاعة الأيمن بمرارة)

يعيش مَنْ ولماذا؟

(ثم يوجه السؤال للنصف الآخر)

ويسقط مَنْ ولماذا؟ قد تعرفون مَنْ ولكنكم لم تعرفوا

لماذا.

قررتم ولا أدري لماذا قررتم أن أترأسكم بترفعي عليكم.

هل لأنني محض عسكري أجيد القتال؟ أم لأنني أعرف

كيف أقود القطيع إلى حيث أشاء؟ أم لأنني أستطيع

الضرب بيد من حديد على رؤوس من تسوّ لهم

أنفسهم، وما أكثر من تسوّ لهم أنفسهم في بلاد ما بين

النهرين؟ لقد جعلتم مني حصاناً جامحاً.

(يشير إلى رأس الحصان في النصب وقد ركزت الإضاءة

عليه) فانطلقت بكلّ ما أملك من قوة إلى الأمام. امسك

بي اثنان في محاولة لثني عن الحركة، أو دفعي للرجوع

إلى الوراء.

(يمثل حالة الشخصيتين)

لكنني حين رأيت ما فعله الأوغاد بكم نحيتهما بقوة

حركتي، وصلابة إرادتي، وانطلقت دون أن يوقفني أحد. تبعني منكم الكثير، واستشهد منكم الكثير لكنكم والحق أقول لم تنظروا لشهادتكم بل كنتم تنظرون إلى... إلى سيادته على الدوام وأغمضتم عيونكم عن دموع الأمهات وهن يذرفن دموعاً من دم على فلذات أكبادهن. لماذا لم تنظروا إلى تلك الأم على سبيل المثال.

(يشير إلى الأم النائحة في النصب. تتركز عليها دائرة من الضوء) وهي تحتضن ابنها الشهيد وتبكي احتراق قلبها بمفارقتة الأبديّة؟ لماذا هللتم وكبرتم لسيادته وكأنه بينكم رب الأرباب؟ لماذا؟...

(يتوقف فجأة متذكراً)

ما زلت أتذكر ذلك اليوم المشؤوم الذي تربع فيه گلگامش⁽¹⁾ على عرش أوروك ذات الأسوار. كنت جندياً ضمن فرسانه الأشداء. أطيع فقط ما يأمرني به حتى ولو أمرني بقتل أمي وأبي، وهذا هو ما أرادته مني بالضبط. في ذلك اليوم صفقتم لجلالته حتى أدमितم أيديكم، وكأنكم في منافسة شديدة للفوز برضاه. لم يكن يتوقع منكم كل ذلك الحماس الهائل، ولم يكن له أدنى تصور إنكم تتباهون بقوته التي فاقت قوة الثور الإلهي كل تلك المباهاة، ولم يدر في خلدته إن مجلس الشعب في أوروك

(1) گلگامش هو خامس ملوك الوركاء الأولى وهو بطل الملحمة الخالدة التي سميت باسمه ملحمة گلگامش.

سيمنحه صلاحيات تجاوزت صلاحيات من سبقه من ملوك الوركاء الأولى، وحين فتك بأشد فرسانكم بأساً هتفتم لك المجد يا گلگامش العظيم "راعي أوروك السور والحمى. راعينا القوي، كامل الجمال والحكمة"⁽¹⁾ ووضعتم تحت أقدامه كل هداياكم من الذهب والماس واللازورد،

وانحنيتم حتى كادت هاماتكم أن تمس أرض البلاط. أما فرسان أوروك وأبطالها فقد لازموا حجراتهم لا يستطيعون الظهور فإن ظهوروا لم يشر إليهم أي أحد منكم بعد أن استأثر گلگامش بكل إشاراتكم، وإشاداتكم، وأشعاركم، وأناشيدكم التي تغنت باسمه دون أوروك. لقد جعلتم ثلثيه من الآلهة والثلث الآخر من البشر فتميّز عنكم بما ليس لكم. جعلتم منه الحكيم المحنك، والقائد الضرورة، والبطل المغوار، وطلبتم من آلهتكم أن تحفظه وترعاه فهو راعيكم وحامي أسواركم، والذائد عن شرف أوروك ذات الأسوار. أحبه صغاركم، وراحوا يتبارون في تقديم أجمل العروض بميلاده الميمون. أعلنتم أن لا أحد غيره منحكم من الراحة والاطمئنان ما جعل أوروك سيدة المدن، وحاضرة الدنيا، ومدينة السلام. كان يحكم باسم رب الأرباب أنو ثم سرعان ما صار حكمه باسمه

(1) ملحمة گلگامش طه باقر— وزارة الاعلام مديرية الثقافة العامة الطبعة الثانية بغداد 1971.

دون رب الأرباب.

(بأسى وشعور بالمرارة)

"لم يترك گلگامش ابناً طليقاً لأبيه، ولم تنقطع مظالمه عن الناس ليل نهار. لم يترك عذراء طليقة لحبيها، ولا ابنة المقاتل، ولا خطيبة البطل"⁽¹⁾ وعلى الرغم من هذا كله كنتم تتسابقون في تقديم بناتكم كهدايا لسموّه بعد أن طاب له نكاح نساءكم من أول سور في أوروك إلى آخر الأسوار. سخركم لبناء أسوار أوروك ولم يتفاض أحدكم فلساً عن عمله طوال النهار. غير المواقيت، وجعلكم تصحون مبكرين على إيقاع الطبول فعسركم من حيث لا تعلمون. أخذ أبناءكم مرغمين ليضمهم له ولجنده الميامين. واستأثر بنكاح بنات أبطالكم الأشداء. وحين طلبتم منه بعد أن هدّكم التعب أن يمنحكم بعض الراحة صبّ جام غضبه عليكم، وشنق بعضكم على أعمدة قصره الملكي وأنتم تهتفون بالروح بالدم نفديك يا گلگامش.

ثم جعلتم منه إلهً كامل الجمال والحكمة وقلتم بصوت واحد راحتنا من راحتك يا گلگامش العظيم، وحين شكوتم حالكم لـ(أورورو)⁽²⁾ وطلبتم منها السلام

(1) المصدر السابق.

(2) أورورو هي واحدة من الآلهة الخالقة، وهي التي خلقت أنكيدو ليكون ندا لگلگامش.

والراحة سلّطني عليكم لأضربكم بيد من حديد كي لا تستمري أنفسكم الشكوى. كنت أضربكم بشدّة، وكنت أتفوّق على بقية الفرسان بإيذائكم علّكم تتقلبون على أنفسكم فتشعرون بما يحيطكم من ظلم واستبداد، وكنتم كلما توقفت عن ضربكم تصرخون ملء أفواهكم (نسمع هتافا خارج المسرح)

بالروح بالدم نفديك يا گلگامش.

وكأنني بكم استمرّأتم الذلّ بدل العزّ، والخنوع بدل الإباء. وعبادته بدل انو وأنليل. في ذلك اليوم فقط عرفت كيف يمكن للشعب التلذذ بالعذاب الذي يسلمه ظلّ الآلهة فكففت عن ضربكم على أمل أن تصحوا ذا يوم فتجدون أنفسكم وقد تحررت من قيود عبوديتها المقيّته.

ربما تحتاجون الآن أكثر من أي وقت مضى أن أذكركم يوم وقف أمامكم هكذا.

(يقلد وقفه گلگامش) وقال وهو يزار كالأسد الهصور:
(يمثل شخصية گلگامش) يا أبناء أوروك ذات الأسوار.
أنا ربكم الأعلى. تقولون ما أقول، وتفعلون ما أفعل.
ولا تحسبونني بمنزلة أحد منكم فتعيون على أنفسكم
ما أفعله بكم. نساؤكم نسائي. وبناتكم بناتي. وأولادكم
اولادي فلا يسألن أحدكم ما أنا فاعل به، أو بزوجاته،
أو بما ثقلت موازينه من المال والحلال. كونوا كما أشاء.

لتمتعوا بما اخترته لكم من متع الدنيا. لا تتذمروا، ولا تتآمروا، ولا تطلبوا أكثر مما قدرته لكم، وكونوا عباداً صالحين أشداء على الأعداء لأقودكم من نصر إلى نصر حتى تبسط أوروک نفوذها على بلاد ما بين النهرين فتصبح مملكة للأرض والسماء.

(يعود لشخصيته)

وما كاد ينتهي من اذلالكم علناً حتى رحتم تهتفون له بأصوات هادرة (نسمع هتافاً جماعياً مدوياً من وراء الكواليس)

بالروح بالدم نفديك يا گلگامش.

(يتحرك إلى أسفل النصب)

انظروا إلى ذلك الرجل الثائر.

(يشير إلى الرجل ذي الخطوة الواسعة)

وكيف شحذ هممكم بصلابته، وقوته، وتوقه للانقلاب على الظلم والاستبداد فرفع بعضكم رايات الانتفاضة ولافتات النضال وأعربت نساؤكم عن آمالهن في حياة كريمة لكن گلگامش ألقى القبض عليكم جميعاً وأودعكم سجنه الصحراوي الرهيب وكنتم معكم لأنني لم أضربكم كما أمرني. ومن السجن انطلقت أول الأسئلة.

(نسمع الاسئلة مسجلة على آلة تسجيل بصوت جماعي)

أهذا هو گلگامش راعي أوروك المسورة؟ أهو راعينا
كامل الجمال والحكمة؟ أهو الشهم الغيور وحامي حمى
أوروك؟

وراح الناس يتهامسون عن مظالمه الكثيرة، وسجونه
الرهيبه، وقسوته التي دونها قسوة الوحوش الضارية.
استطاع السجناء إيقاد شرارة الانتفاضة فانطلقت بكل ما
أملك من قوة لتحطيم القضبان، وتحرير السجناء ليقوموا
بواجبهم الذي حتمته الانتفاضة.

(فترة صمت مطبق)

كانت امرأة من أوروك تضيء لي طريقي بمشعل بدد
الظلام الكثيف الذي أغرق الشوارع بحلكته الثقيلة⁽¹⁾..
قال أحدكم:

(صوت أحد المتفرجين منطلقاً من الصلاة)

إنها الحرية الحمراء.

وقال آخر:

(من الصلاة أيضاً):

إنها الثورة الخضراء.

أما أنا فقد اكتفيت ببلاغة الصمت. هل تعرفون إن أظفح
ما قمتم به طوعاً هو تآلفكم مع الجلاد كضحايا!..
تصوروا إنه قال لي حينها ربما بدافع الثرثرة عليك أن

(1) المرأة التي وضعها جواد سليم في منتصف النصب وهي تحمل مشعل
الحرية.

تصدق أنهم مصابون بالمازوشية فضحكتُ ولا أعرف
لماذا ضحكت ربما بسبب حروف هذه الكلمة الغريبة
التي لا أعرف معناها. ثم أمرني قائلاً:
(يقلد صوت الرئيس)

أذهب وحررهم منها إن كنت تستطيع. ثم انتابته نوبة
ضحك وكركرة هستيرية اهتزت لها أرجاء القصر الملكي.
سألت الجندي الذي كان يرافقني.
(يلتفت إلى الجندي الذي يتوهم وجوده إلى جانبه)
ما معنى هذه الكلمة؟

(يؤدي ايماءات الجندي)
فاكتفى الجندي بتحريك كتفيه إلى الأعلى، وزمّ شفثيه،
ومن يومها صرت أطلق هذه الكلمة على كل من يصادفني
في الطريق.

(يمثل بعض الحالات)
هيه أنت أيها المازوشي. تعال إلى هنا.
(يمثل دور الشخص)
من؟ أنا؟

وهل ثمة غيرك في الطريق؟
لكنني لست من تقول
لا يهم ما أقول المهم أنك مازوشي.
(يشاهد أحد المارة فيوقفه)

هيه أنت توقف

لماذا يا سيدي هل خالفت النظام لا سامح الله؟
طبعا خالفت النظام ألم تكن مازوشيا؟ المازوشية ضرب
من ضروب مخالفة القانون ألا تعرف هذا؟

لا والله يا سيدي لم أعرف..

إذن أنت تعرف ما المازوشية

نعم أعرف يا سيدي

قل ما هي إذن

إنها كلمة أجنبية يا سيدي.

طال بي الوقت وأنا أبحث عن معنى لها حتى جاء اليّ
رجل من أبسط الناس وقال لي:

(يقلد صوت الرجل)

هل سمعت ما قالته ننسون والدة گلگامش عن رعايا
أوروك؟

قالت: إنكم كالقطط تحبون خانقكم⁽¹⁾

(يمثل حالة الرجل)

أمسكت بخناق الرجل حتى كاد يفارق الحياة وإذ غيّرت
رأبي وقررت مسامحته انحنى لي، وقبّل يديّ، ودعا لي
بالخير والحياة المرفهة، ودعا لگلگامش بالبقاء
الأبدّي على عرش أوروك، وحين تركته يغادرني تساءلت

(1) عبارة مأخوذة من المثل العراقي الشعبي (البزون يحب خانوگه).

في سري كيف يمكنني شفاء كل هؤلاء من مازوشيتهم؟
وعرفت حينها لماذا قهقهه الرئيس وهو يأمرني بتحريرهم
منها.

كان گلگامش الأول عسكرياً، وگلگامش الثاني عسكرياً،
والثالث عسكرياً أيضاً فقرر الشعب أو قرر المجلس نيابة
عن الشعب أن يقود رجل من العسكر أي
نظام جديد لأوروك. وبعد انتفاضة شعب أوروك على
مظالم گلگامش حلّ اسم الزعيم محل الملك. رحل
گلگامش إذن، وأسدل الستار على حكمه، وصارت
البلاد تنعم بالهدوء والسكينة. ومن يومها تغيّر اسمها من
مدينة الوركاء أو أوروك ذات الأسوار، إلى أرض السواد
وفيهما جايلت ملوكاً وزعماء حرصوا على أن يظلّ القائد
الأعلى عسكرياً فعسكروا البلاد ثانية. وبدأت رحلة التأليه
بنسختها الجديدة. ما زلت أتذكر يوم خرج الزعيم ليلقي
خطابه بين الناس فدوت حناجرهم بصوت هادر واحد.
(نسمع صوتهم من وراء الكواليس أو من جهاز التسجيل)
بالروح بالدم نفديك يا زعيم.

كان الزعيم مندهشاً، وربما شعر بدهشة أكبر عندما رفعوا
سيارته على الأكفّ، وساروا بها في شوارع دار السلام.
كانت السيارة تموج على الأكفّ، وتنساب في حركتها
فوق الرؤوس، والناس يتنافسون على لمس صفيحها، أو

مصافحة

الزعيم، ولم يخطر على باله أن يتكالب الناس على حملها بعد أن خرجوا عن بكرة أبيهم ليحيوا شخصه الكريم. أصابني الجنون، ورحت أضرب بعضهم بالهراوة.

(يقوم بضرب الناس بطريقة استهامية)

توقفت عن الضرب بإشارة منه، وتراجعت إلى الوراء خوفاً من أن يمزقوني إرباً إرباً وأنا أمنعهم من ممارسة طقوس عبادتهم الغربية لشخصه المقدس علّهم يكفون عن فعلهم الجنوني.

كانت الدماء تسيل من بعضهم ملطخة ملابسهم كلّها ومع هذا لم ينفكوا يتدافعون لنيل شرف لمس سيارته السوداء...

وما خرج مرة إلا وتجمّعوا حوله بشكل هائل وهم يرددون بالروح بالدم حتى صار يشعر بقدسيته فعلاً، ولم يخطر على باله أن يتخذ من الجند حماية وهو المحمي بشعبه فتربص به نفر أطلقوا النار عليه ولكن شاء القدر أن ينجوا فاحتفل الناس بسلامته أياماً وهم يطلقون الحمامات البيض في سماء البلاد كما يطلقون الاهازيج والأغاني. وفي يوم شفائه خرج للناس فهاجت أصواتهم وماجت مرردة منذ الصباح وحتى المساء (صوتهم مسجلاً):

"ماكو زعيم إلا الزعيم"

حتى صدق أنه الزعيم الأوحـد الوحـيد للبلاد والعباد. وما من أحد يمكن أن يحلّ محلّه إلى أبد الآبـاد.

شعرت بالحزن الشديد وسألت نفسي لماذا لم أكن شبيها لأحد من هؤلاء؟ ولماذا لا أملك طموحاً كطموحهم على الرغم من أنني عسكري قلباً وقالباً؟ ولماذا اقتنعت أن أكون في الصف الخلفي بعد هذا العمر الطويل؟
(فترة صمت)

ربما لأنني رأيت ما حدث لهم من أيام گلگامش الغابرة وحتى هذه الساعة، واتخذت مما حدث لهم عبراً ودروساً ولكن...

(يلتفت إلى جمهور النظارة)

لماذا لم تحملوا أنتم تلك العبر محمل الجـد، وتكفوا عن تأليههم وتقديسهم الزائفين؟ هل تعتقدون أنني غافل عما كنتم ترددون من شعارات ضد الزعيم بعد أن اعتبرتموه دكتاتوراً؟ وكيف لا يكون كذلك وقد منحتموه ما يؤهله ليكون كذلك؟ حتى إذا ضقتـم ذرعاً به أو كلتم لشياطينكم ذبحه من الوريد إلى الوريد. لو تسنى لي يوماً أن أكون محاسباً لِمَا اقترفتـم فإنني لن أحكم عليكم بأقل من حكمكم عليه.

(يكرر صوت أحد الحاضرين)

هذا ظلم؟

هل قلتَ أن هذا ظلم؟

(لا أحد يجيب)

حسن. ماذا تسمي التآليه والتسفيه؟ وهل ينبغي أن يفضي التآليه إلى التسفيه دوماً؟ (فترة صمت) لا أريد سماع الإجابة من قوم يبدو لي أنهم لم يؤمنوا بعد بالعبر...

(يتوقف عن الكلام برهنة ثم يبدأ بالسرد ثانية)

رحل الزعيم، وأسدل الستار على حكمه، وبأمر منهم فرضت عليّ الإقامة الجبرية بعد تجميلها بوسام التقاعد. كان الرئيس الجديد صديقاً للزعيم. اشتركا معاً في قلب الملكية إلى نظام جمهوري لكنه سرعان شعر بمظلوميته فهو يد

الانقلاب الضاربة، وهو من أمر بإبادة عائلة الملك إبادة جماعية، وهو الرجل الذي لم يشعر بالراحة وهو يرى الزعيم على رأس السلطة فاتفق مع زمرة باغته بانقلاب جديد.

استثمر الرئيس الجديد مشاعركم القومية، وألهب في نفوسكم الحماس لوحدتكم فرحتم تهتفون له.

(اصواتهم مسجلة أو منطلقة من وراء الكواليس)

بالروح بالدم نفديك يا رئيس

وضعتم على كلِّ جدار صورة له. وكلما خرج اليكم تسابقتم

في امتداح شخصه الفذ. وهتفتم بصوت هادر رهيب.
(صوتهم منبعثاً من آلة التسجيل)
كلنا جنودك يا رئيس...

كان يعرف أن في حماسكم محاباة له حتى أنه قال لكم:
(مقلداً صوته)

إن كنتم جنودي حقاً فلم يتكرر هروبكم من الجيش؟
وكان ردكم بهتاف أقوى وأشد:
كلنا جنودك يا رئيس...

وما إن غادرتكم مروحيته وارتفعت قليلاً في الجو حتى
تحطّمت بفعلة فاعل ليس بمجهول. استنكرتم هذا الفعل
الجنوني، وحكمتم مشاعركم القبلية فاخترتم شقيقه كبديل
له في الحكم لكنكم سرعان انقلبتم عليه ولم يمض على
حكمه إلا بضعة أشهر.

رحل الرئيس، وشقيق الرئيس وانا لا أزال أقبع في بيتي
مثل قطعة أثاث لا تحرك ساكناً حتى صدر أمر إعادة
إلى الخدمة العسكرية كمستشار فائض على الملاك. لم
يتروكوا لي خياراً بين القبول والقبول.. كان الرئيس الجديد
يفرض علي مرافقته إلى أي مكان يذهب إليه كما لو
أني من مكملات زينتته الرئاسية، وكان أزالاه يهيئون له
مستلزمات السلامة، وحيثما وطئت قدماه المباركتان فانه

يمنح الناس ما يحلمون به من رزم النقود، وهم يرددون بصوت قوي بالروح بالدم فأثرى بعضهم وصار بعضهم الآخر يتطلع للوصول إلى يده الكريمة حتى ضج قصره بالمنتفعين الذين ما انفك يمنحهم ما جاءوا من اجله، ثم قسّم أيامه الثمينة لاستضافة الشعراء، والخطباء، والأساتذة الاجلاء، وشيوخ العشائر والقبائل، والمناحل، وكل من هب ودب فكتب الشعراء معلقات التأليه، ودبج الخطباء كلمات التعظيم، ولهج رجال العشائر بالدارميات، والمربعات، والمواويل حتى صار لكل صنف ثمن.

هام الناس به حباً، وراحوا يتطلعون لحلوله ضيفاً عليهم يكرمهم أيما كرم حتى تحقق ما قالته العرب "يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وانت رب المنزل". تكدست مكارمه السخية، وفاضت أعماله الخيرية، وامتدت يده الكريمة لتوزع ما زاد من الخير على البلاد المجاورة. منح نفسه رتبة عسكرية حفاظاً على ما سنه الأولون، وسار عليه اللاحقون وأراد أن يثبت للكل كفاءته فزج البلاد والعباد في حرب تغنى بها الشعراء، ومجّدها الخطباء، وأثنى على دمارها الأدباء وما انفكوا يلهجون ويرددون له "جبل والله ولا كلّ الجبال"⁽¹⁾ فانتصر في كلّ حروبه التي خاضها والتي لم يخضها بعد

(1) أغنية لحاتم العراقي.

حتى أيقن إن الله حفظه ورعاه وأيده بنور منه ليتخلص من غرمائه، ومنافسيه، وأعدائه، ومنتقديه.

مرة كنت عائداً إلى بيتي وخطر لي أن أترك سيارتي الفارهة التي قدمها لي سيادته كهدية من هداياه التي شمل بها العساكر كلهم، وان أركب في سيارات النقل العام. كان الشارع لا يزال محتفظاً ببعض الحفر من أيام تبادل الضرب بالصواريخ العابرة للحدود. شكى بعض الركاب من الإزعاج الذي تسببه فأجابته امرأة قروية كانت تجلس بيننا: سيأتي حفظه الله ليعديلها. قلت لها: وهل يملك من الوقت ما يكفي ليقوم بهذا. قالت: نعم وقال الجالس إلى جانبي بتويخ:

عندما تذكره حفظه الله بكلامك قل حفظه الله ورعاه. قلت حسنا سأفعل في المرة القادمة.

كانت هذه هي المرة الأولى التي أمرّ فيها على شوارع المدينة التي ازدحمت بصوره وتماثيله، وأقواله المكتوبة بخطوط جميلة على جدران المحلات والبيوت.. وعلى أحد الارصفة سمعت أحدهم يقول لصاحبه "عليك بداعت⁽¹⁾ الرئيس تكول الحق" وعرفت حينها أنه دخل في مفردات حياتهم وسيبدأ بجرّهم إلى الضفة التي يريد.. وما إن حاز على مرتبة التأليه حتى جرّهم فعلاً إلى خوض الحروب والكروب، والوقوع تحت رحمة

(1) كلمة قسم باللهجة الشعبية تعني بحياة فلان.

الحصار والدمار وخراب الجار فندبوا حظهم العاثر،
وتمنوا لو تنقلب الحال، ويتغير المآل، وأن لا يحفظه
الله بعد ولا يرعاه ثم تركوه ليموت شنقاً بعد أن أزحق
أرواح ما يزيد على حجم أمة كاملة.

رحل القائد، وأسدل على حكمه الستار، وعدت إلى
بيتي فوجدته أثراً بعد عين.. وضعوا قنابل حول جداره
الخارجي لأنهم اعتقدوا أن القائد الجديد

سيزورني لأسباب تتعلق بتبيض السلطة لوجوهها فدفع
بيتي الثمن نيابة عن دولته، ولم يكن بد من العودة إلى
مكاني في النصب بعد أن تدهور كل شيء، وانهار على
كعكة الوطن الغرماء من كل حدب وصوب، وصار
أرذلهم يمتطي أسد بابل ساخراً من حضارة سومر وأكد.
(يتحرك نحو مكانه في منتصف المسرح تحت النصب.
يلتفت إلى جمهور النظارة) صراحة لم تنته مذكراتي
بعد.. لكنني قررت إيقاف نزيها على أمل إكمالها يوماً ما
بعد إن نضع نقاط الحرية على نصبها في ساحة التحرير.
(يقف على منتصف المسرح كما في بداية المسرحية.
ينطلق صوت المارش تدريجياً.. بقعة ضوء حمراء تركز
على منتصف النصب وأخرى على جندي النصب ثم تطفأ
الأضواء مع توقف المارش).

انتهت

أديلايد بداية 2013

**مونودراما
عامل في جدارية فائق حسن**

قبل العرض:

نشاهد على الخشبة (في منطقة أعلى وسط الوسط) جدارية ضخمة هي جدارية (السلام) للفنان العراقي الكبير فائق حسن⁽¹⁾. من الجدارية يخرج بشكل استهامي العامل الذي يقف في مقدمتها وهو يرتدي بدلة العمل الزرقاء. يبدو عليه التعب والضعف. يتحرك أمام الجدارية جيئة وذهابا. يتوقف. يفكر. يبدأ المشي مرة أخرى ولكنه سرعان ما يتوقف. يلتفت إلى جمهور النظارة ثم يتقدم باتجاههم. يتوقف عند حافة المسرح إذ يفاجأ بوجود حفرة كبيرة، يكاد يسقط فيها، فيتراجع خطوة إلى الوراء:

العامل: آنسيت وجود هذه الحفرة. أو لأقل إنني نسيت أمر القذيفة التي استهدفت الجدارية ولكنها سقطت هنا. (يشير إلى موضعها) فأحدثت هذه الحفرة الرهيبة... (يتوقف فجأة ثم يوجه كلامه إلى جمهور النظارة مباشرة) عفواً نسيت، وما أكثر ما أنسى هذه الأيام، أن أقدم لكم نفسي.

أنا العامل في هذه الجدارية (يشير إليها) منحت قبل قليل

(1) جدارية السلام أو جدارية فائق حسن وهي جدارية ضخمة تطل على ساحة الطيران قريبا من (المسطر) المكان الذي تتجمع فيه الشغيلة بانتظار من يشتري قوة عملها يوميا. وتشكل مع نصب الحرية للفنان الراحل جواد سليم وتمثال الأم للفنان خالد الرحال أضخم الأعمال الفنية في وسط بغداد.

فرصة الخروج منها لأتنبس الهواء النقي بعد أن أفسده بعض عابري السبيل أو السكارى الذين لم يجدوا مكانا للتبول إلا تحتها. معذرون هم. فلا أحد منهم يعرف قيمتها.

(يلفت انتباههم نحو الجدارية)

انظروا ماذا فعل الإهمال بها. لقد بهتت ألوانها، وعاث بها الموتورون خراباً، وكأنها ليست ملكاً لهم، أو جزءاً من تراثهم الجميل. حين أكملها فائق حسن أطلق الناس مئات الحمامات البيض ابتهاجاً بها حتى صارت السماء بيضاء كالجليد. لم أعرف من أين حصل الناس على هذا العدد الكبير من الحمامات البيض التي تشبه نظائرها في اللوحة، سمعت ذات مرة وأنا أقف في مقدمتها رجلاً من المارة يقول:

(يمثل دور القائل. يمرّ من تحت الجدارية.. ينظر إليها ساخراً):

يقتلون الناس، ويدعون أنهم حماة السلام. يعلقونهم على أعمدة الكهرباء، أو يسحلونهم على إسفلت الشارع باسم السلام.

(يغير نبرة صوته) سيأتي اليوم الذين نعلّقكم فيه على أعمدة منصوبة في ساحة التحرير، ونزهق أرواح حماماتكم القبيحة هذه بحبال من مسد.

(يعود لشخصيته)

حقيقة لم أفهم لماذا يضر هذا الرجل كل هذا العناء
لحمامات اللوحة! لكنني اكتشفت ذلك بعد مرور وقت
قصير حين جاء فتية من الملمثين، وأطلقوا النار على
الحمام هكذا.

(يضع على وجهه قناعاً. يمثل دورهم وهم يطلقون النار
على الحمامات بحركات صامتة. يتوقف. يزيح القناع.
يعود لشخصيته)

ولما لم تسقط أيّاً منها جاءوا بعلب دهان.
(يضع القناع على وجهه ثانية. يخرج إلى ما وراء
الكواليس. يدخل ومعه علب الدهان وفرشاة. يضع
بعضها إلى جانب بعض. يقوم بفتح أغطيتها واحدة
تلو أخرى. يتناول الفرشاة محاولاً طلاء الحمام. يقلد
حركات الملمثين بشكل ساخر. يستمر بالطلاء حتى يشلّ
التعب حركة ذراعيه فيعود لشخصيته السابقة، كعامل في
الجدارية، ثم يخلع القناع ويرمي به أرضاً. يحرك يديه من
شدة التعب).

كلّت متونهم بعد إصرار عجيب على الطلاء فولّوا
الأدبار، واختفوا في أزقة البتاوين المظلمة⁽¹⁾.

(1) البتاوين حي من أحياء بغداد يقع على الجانب الشرقي قريبا من حديقة
الأمّة وتسكنه ملل مختلفة.

على أية حال نزع أحد رجال الجدارية قطعة القماش⁽¹⁾ التي تلفّ وسطه، وراح يمسح بها بقع الدهان من على وجه الحمام.

(يتحرك باتجاه اللوحة. يقف إلى جانبها)

لم نخش إطلاق الرصاص علينا فنحن نعرف صلابة المادة التي جبلنا منها، ولكننا والحق يقال كنا في حالة دهشة كبيرة (متسائلاً) لماذا دهشة كبيرة؟ لأنه لا يوجد مجنون على هذه الأرض يمكن أن يطلق النار على أهله وناسه بهذا الاستهتار المفزع.

(فترة صمت).

لم يتوقع أحد من المارة إننا يمكن أن نراهم أو نسمعهم وهم يتهامسون بأمور كثيرة ومثيرة. ففي ليلة من ليالي الصيف القائظ اقترب منا ثلاثة اشخاص قال أولهم: (يمثل شخصية الأول بعد أن تتركز الإضاءة عليه. يشير لرجلين وهميين بالاقتراب منه. يحاورهما همساً مستخدماً حركة جسده موضعياً باتجاه الشخصيتين)

- غداً ساعة الصفر، وعلينا تبليغ خلائانا بذلك.

- هل المكلفون بالاغتيال على أهبة الاستعداد؟

(1) إشارة الى المواطن الكردي الذي يقف خلف المرأة في منتصف الجدارية.

- إنهم على أهبة الاستعداد.
- وهل استلموا العدة؟
- نعم استلموا بنادق بورسعيد من حليفنا سراً وهي مؤهلة الآن، وكافية لعميلة الاغتيال.

(يترك مكانه عائداً لشخصيته)

في اليوم الثاني نصبوا كمينهم في شارع الرشيد منتظرين مرور سيارته السوداء. وحالما وصلت انهال الرصاص عليها من كلّ حذب و صوب. أصابت إحدى الرصاصات مرافقه فمات على الفور، واخترقت رصاصة أخرى يده ولكنه مع ذلك ترجّل من سيارته. سحب أقسام مسدسه الشخصي وطاردهم حتى اختفوا في الأزقة المجاورة. تصوروا رجلاً واحداً هزم زمرة اغتيال كاملة، وأصاب أحدهم برجله قبل أن يتوارى في منعطفات الزقاق. سألتني المرأة التي تجلس أمامي في هذه الجدارية:

- لماذا يحدث له هذا وهو لم يؤذ أحداً منهم؟ قلت:
- ربما لا يروق لهم حاكماً إلا منهم. فكل فئة صارت ترى أنها الأحق بحكم الناس، وسترين في قادم الأيام، كيف يقتل الأخوة الاعداء بعضهم بعضاً بدافع وطني، وستبكين على الوطن غربته بين هذه الفئة وتلك.

تركت المرأة الحمامة تطير من على يدها قبل أن تمسّها
يد ابنها الصغير⁽¹⁾ قلت بفضول:

- يا سيدتي للطفل لمسة محبة رقيقة فلم لا تتركه
يلمسها بيديه الناعمتين.. قالت:
- أخشى أن يحلو له ذلك فتصير أثيرته التي يتمتع
برؤيتها داخل القفص...

وما كادت تكمل جملتها حتى انهال علينا وابل من
الرصاص. اعتقدنا أننا المستهدفون ثانية، ولكننا رأينا
بضعة رجال مسلحين يطلقون النار على ثلة من عمال
المسطر الذين لاذوا بالفرار نحو أزقة البتاوين (يتوقف
عن الكلام برهة ثم)

توقف المسلحون عن مطاردة الهاربين، وعادوا أدراجهم
إلى سياراتهم العسكرية ذات الخط الأحمر على جانبيها.
لم يدم الحال على هدوئه فترة طويلة. ففي ذات يوم
من أيام شباط جاءت زمرة بدوافع عدائية خيم ظلمها
وظلامها على البلاد بضعة أشهر كأنها الدهر بكامله.
ألقت القبض عليّ، واودعتني زنزانة لا أعرف أين تقع
الآن بالضبط وكأنني أحد أعدائهم الأشداء. في الزنزانة

(1) هي المرأة التي تجلس في اسفل الجدارية وهي التي اطلقت سراح
الحمامة من قفصها.

رأيت عشرات الرجال مشرفين على الموت، وسمعت في الغرفة المجاورة أنين نساء مغتصبات، وحين حلّ الظلام صارت أصواتهن تمزق نياط القلب. توسلت إحداهن قائلة.

(يمثل دور الفتاة أو نسمع صوت الفتاة قادمة من اللامكان)
لا أرجوك لا تسويها. آني مثل اختك. ما عندك أخت؟
آني شرفك. آني بشاربك. الله يخليك لا لا لا (تبكي
بمرارة) لا تسويها عيوني إنت. أبوس ايدك. أبوس
رجلك. خليني خادمة جوه رجلك بس لا تسويها لا لا
لا ل ..

وطغت صرختها الأخيرة على غرف المعتقل كلة. أغمي
عليها ولم نعد نسمع لها صوتاً. جعلوها وليمة لسدّ جوع
ذئاب مستترة بشعور ملساء مسرحة. سمعنا أحدهم يتمتم
بعد الوليمة بضع كلمات.

(يقلد تمتمة المغتصب)

تريد أن تكون خادمة تحت قدمي هذه الكافرة اللعينة.
الكافرات لا يصلحن إلا لامتطائهن عندما نريد، ووقتما
نشاء، ولن ندعهن ينجبن من نسلنا الشريف. أنبوب الماء
المطّاط يتكفّل بالعلاج. يجعل بطونهن تنتفخ وتنتفخ حتى
تتفجر أرحامهن.

(بصوت مفاجيء)

بممممممممم
(ينفجر ضاحكا)
ههههههههههههه.

كانوا يمرّون على زنزانتنا وينادون علينا بلسان ذلق.
(يقلد صوتهم)
اخرج يا ابن الـ...

أخرج من الزنزانة لأدخل في غرفة التعذيب. ربطوني
عندما حان دوري بسلسلة حديدية موصولة بأوتاد مثبتة
في جدار غرفة التعذيب. وهناك رأيت من سبقني إليها
معلقا بمروحة سقفية. قال الجلاد:

(يقلد صوت الجلاد)

حان الآن موعد دبغ الجلود...

فتح بابا من داخل الغرفة فدخل مساعده وفي يد كلّ
منهما سوط كيبلي انها لا به على المعلق بالمروحة ضرباً
مبرحاً.

(يمثل عملية الضرب بالسوط)

حتى بدأ الدم يتنفض عقب كلّ ضربة سوط. أشار لهما
بالتوقف فتوقفا وهما يلهثان، ثم فكّا رباطه وجعله
يهوي إلى الأرض. بعد نصف ساعة أفاق من أوجاعه.
قال الجلاد:

- ها هذا يكفّي لو بعدك جوعان. لم ينس المعذب
بينت شفة فقال الجلاد:

- أنت لم تكنفِ بمرحلة الدبغ وبس.. عليك الانتقال
إلى مرحلة التحويف.

ربطوه على منضدة التحويف، وراح كلّ واحد منهم
يقتطع بموسه قطعة من الجلد حتى اصطبغت المنضدة
بلون الدم. أشار لهما بإنهاء مرحلة التحويف، وسأل
الضحية قائلاً:

- ها شبعت لو بعدك؟

لم ينس الرجل بينت شفة أيضاً فقال الجلاد:

- ما بقه غير مرحله وحدة بس. وقال لمساعديه:

- الجِلْد جاهزٌ للكي قبل التسويق.

أحضرا منضدة الكي، وربطوا الضحية عليها، وقام الجلاد
بإيصال كييل المكواة بنقطة الكهرباء ولم ينس الضحية
بينت شفة. وضعوا المكواة على ظهره طويلاً حتى شممت
رائحة جلده المحروق ولما لم ينس الرجل بينت شفة
عرفت أن روحه فارقت الحياة. قلت لنفسي حان دوري
الآن، وسمعت الجلاد يقول متضايقا:

(يقلد صوت الجلاد)

- شنو هلريحه الكريهه.. طلعهو برّه.

سحلاه إلى خارج الغرفة، وعندما عادا ثانية كان برفقتهما
سجين آخر علّقاه في المروحة وبدأوا في الدبغ،

والتحوييف، والكبي، ولم أعرف لماذا تركوني أنتظر دوري. لم تكن الضحية الجديدة تلتزم الصمت كسابقتها. بل صرخت، وتألّمت، وتوسلت، ولكن لم يرق لها قلب أيّ واحد منهم. وضعوا المكواة على ظهره وفي اللحظة ذاتها رن جرس الهاتف وما إن رفعه الجلاّد حتى أشار لمساعديه بالهرب حالاً. صرخت بهم:

- ارفعوا المكواة عن ظهره. أليس في قلوبكم ذرة من الرحمة. ألستم بشراً. لكنهم غادروا المكان والرجل يصرخ ملء فيه من الألم.

(نسمع صرخته المدوية قادمة من وراء الكواليس. تتكرر الصرخة حتى تتوقف بشكل نهائي).
غاب صوته، وانطفأت روحه، وأنا أرى كلّ ذلك بعيون جحظت من شدة الوجع.

بعد يوم كامل من هزيمتهم دخلت السجن مجموعة من الرجال. حطمت قيودي، وأطلقت سراحي فعدت إلى الجدارية ورحت أروي لمن حولي ما حدث داخل ذلك المعتقل الرهيب. اعتقدنا أن الأمن قد استتب، وأن السلام عاد يرفرف على أجنحة الحمام. ولم نحسب أن يوماً رهيماً كان بانتظارنا أيضاً.
جاءت زمرة من رجال الأمن العام. ألقت القبض على كلّ العمال الذين يجلسون هنا.

(يشير إلى المكان)

على هذا (المسطر) بانتظار من يشتري قوة عملهم التي لا يملكون شيئاً للبيع غيرها، ثم التفتوا اليّ وبسخرية قال أحدهم.

(يقلد شخصية أحدهم):

- هيه. أنت ترّجل قبل أن تصل إليك رجلي.

فترّجت. وضعوا الجامعة في يديّ، وساقوني مع العمال إلى مديريةية الأمن العام. قلت مستوضحاً: ما جريمتي أنا، ولماذا جئت بي إلى هذا المكان؟ وما كادت الكلمات تخرج من فمي حتى بادرنى أحدهم بلكمة قوية جعلتني أترنح حول نفسي قبل أن أسقط أرضاً. خذ.

(يمثل دورانه وترنحه جراء الضربة)

يا ابن ال... منين جايب كل هذي القوة.

وكان يقصد أن كلّ من لكمهم قبلي أغمي عليهم على الفور إلاي. أخذوني إلى غرفة نصف معتمة فرأيت فيها جثثاً متحركة أو أجساداً في طريقها إلى الموت. أوقفوني في زاوية من زوايا الغرفة، ووقف أمامي في الزاوية المقابلة رجل منهم. قال الرجل:

- اعترف بما لديك.. قلت:

- ليس لدي ما اعترف به.

تقدم نحوي. ضربني بباطن كفه ضربة أدارت رأسي إلى

الجهة الأخرى بقوة وسرعة جعلتني أرى البؤبؤيين كما لو انهما جمرتان متقدتان أو شرارتان عبرتا خطفاً من أمام عيني المغمضتين ثم قال لي بما يشبه الهمس:

- ها أخ ال... هل ستعترف؟ قلت صارخا بوجهه

- بأي حق تضرب مواطناً بريئاً لم يرتكب جرماً

تراجع إلى الوراء قليلاً وبعد لحظة تفكير اصدر أمراً مباشراً:

- جيوبه خلي يعترف.

بعد لحظات وصلت الضحية الجديدة تجرّ نفسها جرّاً من ثقل ما حملت من الجراح والآلام. جعلوه قبالي وقالوا له:

- (يقلد صوتهم) منو هذا الواگف گدامك؟ (من هذا الواقف أمامك)

(يتحرك إلى مكان الضحية مقلداً صوتها)

- إنه هو.

(يعود إلى مكانه السابق. يوجه كلامه للضحية:

- لماذا تتهمني باطلاً. أنت لم ترني بعد لتتهمني. قال رجلهم:

(يقلد طريقته في توجيه الأمر)

- وخرّوا الوصله من على عيونهم العمياء (أزيلوا الغطاء من على عيونهم العمياء) ووقف خلف الضحية، وبمكر قال:

- هذا هو المطلوب لو لا؟ فقال والألم يعتصره:

(يؤدي بانكسار كما لو أنه الضحية فعلاً)

- نعم.. إنه... هو.

فانهالوا عليّ ضرباً، ومسبة وشتماً لا نهاية لهما ثم
سحبوني إلى غرفة أعدت اعداداً خاصاً لممارسة أنواع
مختلفة من التعذيب الوحشي. لا أطيل عليكم ولا أدعي
أنني كنت بطلاً في تحمّل العذاب. قلت لهم:

- قولوا لي ما تريدون مني الاعتراف به وسأعترف به
حالاً. اعترفت أن شقيقي كان عاملاً مثلي لا يرضى
أن يستغلهم أحد مهما كان نفوذه وسلطته. قالوا:

(مقلدا صوتهم)

- لو ممعترف جان هسه انتة جثة جايفة ويه بقية الجثث.
(لو لم تعترف لكنت جثة نتنة مع بقية الجثث)

لقد اعتبروا كلامي هذا اعترافاً. فأصدروا عفوهم المؤقت
عني. وبعد شهر تقريباً زالت آثار التعذيب من على
جسدي فاطلقوا سراحني لأعود إلى الجدارية مرة أخرى.
فوجئت أن الطلبة الذين يقفون معي داخل الجدارية قد
تعرضوا لتعذيب ليس بأقل مما تعرضت له. كان أقلهم
عمرًا ذا جسد نحيل. وضعوه في غرفة كانوا يحتجزون
فيها عدداً من قادة العمال. قال الطالب وفي صوته رنة
توسّل لأحدهم:

(يمثل دور الطالب والقيادي)

- متى يطلقون سراحنا؟
- هل تريد مغادرة المعتقل؟
- نعم أريد.
- إذن ما عليك إلا أن تعترف وتغادر.

لم أفهم حقاً لماذا قال له ذلك. أعطفاً عليه؟ أم لأمر آخر أجهله؟ على أية حال لم يطل مكوثي داخل الجدارية وأنا أرى قطعات عسكرية تتجحف حول حديقة الأمة وتعلن للملأ عن حقيقة سيطرتها على مفاصل الحياة كلّها مبشرة بحياة باذخة.

لم يطل بقاؤهم هنا. غادروا المكان على عجل وتوجهوا إلى مكان أجهله ولم يكن متاحاً اقتفاء آثارهم بعد إن صار كلّ متحرك هدفاً لهم. وعندما حاولت ذلك متسللاً فاجأني ضربة عنيفة على مؤخرة رأسي أفقدتني صوابي. غبت عن الوعي. وعندما عاد الوعي اليّ هرولت مسرعاً باتجاهات مختلفة. لم استطع تحديد وجهتي بالضبط. أردت العودة إلى مكاني في هذه الجدارية ولكنني فقدت احساسي بالمكان. كان صوت الرصاص يترّ في سماء بغداد. وكانت الانفجارات تصمّ الآذان. وكان رجال الأمن يولّون الأدبار هارين من مصائرهم وهم يحملون حقائب لا أعرف ما بداخلها. تركوا مقرّاتهم مفتوحة أو

محروقة ولاذوا بالفرار من الموت الذي تخيلوه متابعاً
لخطواتهم الشاردة. لم يبق مكان لم تطله القنابل بكل
أشكالها، وأنواعها، ووسائل دمارها، وبصعوبة بالغة وسط
أزيز الرصاص، ودوي القذائف، ورهبة الطائرات المقاتلة
استطعت أن أجد الطريق إلى ساحة التحرير ثم إلى ساحة
الطيران واخيراً إلى مكاني داخل هذه الجدارية.

حقيقة لم أشعر بالأمان يوماً من الأيام، ولم أذق للراحة
طعماً، وكنت على الدوام أشعر أنني مستهدف من قبل
هذا وذاك، وكلما نشب خلاف بينهم فأني أكون ضحية
ذلك الخلاف الذي لن ينتهي على ما يبدو لي أنا على
الأقل.

(يتوقف لحظة. ينظر إلى الجدارية ثم إلى جمهور النظارة)
معذرة.. لقد طال غيابي وعليّ أن أعود إلى مكاني
في الجدارية، ولكنني أعدكم أنني سأعود ثانية لألتقي
بكم، ولأكمل لكم ما تبقى من مذكراتي كعامل في هذه
الجدارية إن بقيت على قيد الحياة و...

(يقاطعه صوت انفجار هائل. يظلم المكان تماماً. نسمع
أصوات استغاثة وصرخات ألم ووجع وأنين ونرى بريق
كشافات سريعة نرى خلال مرورها على المكان جثثاً

متطيرة واشلاء متناثرة ودماء تلطخت بها جدارية السلام.
تطفأ الأضواء في لحظة حزن دامية بينما يستمر الأئين،
وعندما تفتح ثانية يكون العامل قد عاد إلى الجدارية وهو
ملطخ بدمه ودم الضحايا.. تتركز الإضاءة على الجدارية
فترة قبل أن يسدل الستار).

انتهت

الفصل الثاني

نصوص مونوسبايكرية

مونودراما

قبل الموت بخطوات ثلاث

الى رحمن الذي نجا من المجزرة الرهيبة

الخطوة الأولى

قبل العرض:

{نشاهد تلاماً تغطي مساحة الخلفية (السايكلوراما) كلّها، ومن بعيد يتناهى لمسامعنا صوت مارش عسكري، وعلى الخشبة نرى جندياً بملابسه الحربية المرقطة وهو يثبّت على ظهره حقيبته العسكرية، ويعلّق زمزمية الماء في نطاقه ثم يحمل بندقيته ويهم بالمسير. يتوقف في محلّه إذ ينظر إلى جمهور النظّارة ثم يتقدم نحوهم قليلاً. يتوقف ثانية. ثم كمن يوجه كلامه إليهم}

الجندي: أنا ذاهب إلى حيث أمرت. قدمت إلى هذا المكان من الجنوب، وسأغادره الآن تاركاً تلاله الحمر الشريّة إلى قاعدة هائلة حصينة في شمال البلاد. لست الوحيد الذي سيذهب إلى هناك فمعي ما يقارب الثلاثة آلاف جندي بكامل عدّتهم الحربية ربما من أجل الاستطلاع لأننا تدرّبنا عليه كثيراً، أو ربما لمضاعفة تدريبنا، أو لمقاتلة الأعداء الذين تعارفنا على تسميتهم بالجرذان السود فالقادة لم يخبرونا شيئاً عن هذا الانتقال المفاجئ كما أن نشرات الأخبار تكاد تكون مقطوعة عنّا تماماً بعد إن منعونا من مشاهدة التلفاز، ومن استخدام أجهزة الموبايل الشخصية فمنذ الشهر لم نسمع عن تقدّم أو تراجع أو اندحار العدو.

(نسمع صوت بوق التجمع)

لقد بدأوا بالنداء علينا من أجل التجمع في ساحات العرض. عليّ أن اذهب الآن، وأن لا أتأخر عن أمر طارئ مثل هذا.

(يهم بالمغادرة. يغادر المكان من جهة اليمين. يظهر على شاشة خيال الظل مع عدد كبير جداً من الجنود وهم بكامل عدتهم الحربية يتقدمون، بالخطوة السريعة المصحوبة بصوت المارش، برتل واحد أو رتلين للعودة إلى الناقلة العسكرية التي تظهر مؤخرتها فقط. تنطلق الناقلة بسرعة لتحل محلّها أخرى وأخرى إلى أن يكتمل العدد الكلّي. تفتح الأضواء فنرى الجندي، مرة أخرى، داخلاً من جهة اليسار ولكن دون عدته الحربية) عندما وصلنا القاعدة جرّونا من الأسلحة والمعدّات زاعمين أنهم سيوصلونها إلى المكان الذي سنذهب إليه فالقاعدة مكان آمن للجميع.

في الثاني عشر من حزيران انطلق صوت البوق مرة أخرى فأسرعنا للتجمع في ساحات العرض. وقف الأمر على مكان مرتفع ونادانا بمكبر صوت قائلاً:

(يقلد صوت الأمر وكأنه يمسك بجهاز مكبر الصوت أمام فمه)

أبنائي الجنود. الأوضاع آمنة مستقرّة، ولا وجود لشيء

يثير القلق، وليس من مهمة لنا في هذه القاعدة لهذا قرنا إرسالكم بإجازة أمدها خمسة عشر يوماً تلتحقون بعدها في مقرنا السابق قرب التلال الشرقية. وزيادة في الأمان والاطمئنان اخلعوا ملابسكم العسكرية، وارتدوا الملابس المدنية واركبوا هوياتكم، ووثائقكم، وموبايلاتكم في هذه القاعدة حتى لا يتعرف أحد على شخصياتكم. هذه اجراءات أمنية نعدّها من مقتضيات سلامتكم.

(يعود لشخصيته الأولى)

اقتنعنا بكلامه الموجز لأننا تعودنا على ترك المعسكر عادة بإجازات دورية. واستقبلنا خبر العودة إلى مقرنا السابق بشيء من الفرح. فنقلتنا مركبات عسكرية إلى مفترق طريق بين مدينتين حيث كانت سيارات الأجرة بانتظارنا للذهاب إلى مرأب النقل العام ولم نعرف أن سائقي هذه السيارات كانوا قد اتفقوا مع الجرذان السود على تسليمنا لهم لقمة سائغة. وهذا ما حدث فعلاً بعد الانطلاق بدقائق معدودة إذ وصلنا إلى نقطة تفتيش يسيطر عليها مسلّحون يرتدون أزياء مختلفة ويشتركون بلحي متشابهة قال الأول بلكنة أجنبية:

"ولج إنزلي من سياره"

فنزلنا من السيارة.

قال الثاني:

"انبطحوا ارضاً"

فانبطحنا.

قال الأول:

"ما نريد كلام"

سكتنا جميعاً إلا الجندي الذي كان إلى جانبي شرع
بالكلام قائلاً:

(يقلد صوت الجندي وحركات يديه)

لماذا تعاملوننا بهذه الهمجية؟ لو كان السلاح معنا هل
تجرؤون على معاملتنا هكذا؟

(يتعالى صوت الرصاص. يمثل كيف تلقى رفيقه الجندي
رصاصهم المجنون، وكيف سقط مضرّجاً بالدم. يستمر
برواية الحكاية وهو لا يزال ممدداً على الأرض)
قتلوه بدم بارد كالجليد.. (يقف) قال أحدهم:
(مقلداً إياه وهو يمشي متبخترًا)
من منكم يريد الكلام أيضاً؟

(يستعرض بعضهم بشكل استهامي وكأنه ينتظر إجابة
أحدهم)

لذنا بالصمت. لم نبس ببنت شفة علّ في صمتنا بصيص
أمل بالنجاة من الموت. ربطوا أيدينا، وعصّبوا عيوننا،
وفتّشوا جيوبنا بحثاً عن وثائق أو هواتف شخصية. وبدأت

بذكر الشهادتين صمتاً بعد إن أيقنت أنني على مبعدة خطوة واحدة من الموت. في هذه اللحظة تذكّرت، ولا أعرف كيف ولماذا، ممثل الويستيرن الأمريكي فرناندو سانجو وهو يطلق النار على أسراه من على صهوة فرسه الأصهب.

(نسمع صوت اطلاق النار الذي يستمر حتى تطفأ الأضواء، ويعم الصمت أرجاء المسرح والصالّة).

الخطوة الثانية

(تفتح الأضواء ثانية فنرى الجندي واقفاً في محلّه. يتقدم خطوة إلى الأمام ثم)

أمرونا بالوقوف... قلت في سرّي سيقتلوننا وقوفاً على غير عادتهم. وبدلاً من أن يطلقوا النار علينا صاروا يضربوننا بأعقاب بنادقهم دافعين بنا إلى سيارات حكومية اصطفت على منتصف الطريق. وكلّما قطعت السيارة مسافة من الطريق انهالت عليّ صور مختلفة لأمي وهي تتلقّى خبر ما يحدث لي على أيدي أشرس زمرة من زمر الشر الرهيب. كان الضغط عليّ شديداً ومع هذا سرحت بي أفكارى بعيداً. ورحت أناجي أمي.

(يمثل حالة المناجاة داخل دائرة ضيقة من الضوء)
أمي أنا أعرف إن لك قلباً قادراً على سماعي كأبي أمّ
تشعر بالخطر المحدّق بولدها الوحيد.. لقد وقعنا ضحية
كذب وخداع كبيرين. بل ضحية خيانة عظمى أحسست
باندلاق صهاريجها الساخنة علينا من فم السيد القائد.
حاولت توجيه كلمة له أوكد فيها خطر السير على طريق
محفوف بمخاطر لم يحسب حسابها لكنه لم يمنحني
الإذن بالكلام وكأنه عرف ما أريد. حاولت نقل مخاوفي
للصديق المرافق لي لكنه أسكتني بإشارة من يده. لم يشأ
أن يؤثر كلامي على فرحته بالإجازة غير المتوقعة على
الإطلاق فكتمت إحساسي وارتياحي البالغين. قلت في
سرّي: حسناً أتمنى أن لا يحدث لنا ما حدث لغيرنا. أمي
أنا أشعر الآن باليأس التام. سوف لن أراك ثانية فما بين
الموت وبينني بضع لحظات لن تطول لأكمل ما يمور في
دخيلتي. الوداع يا أمي الحبيبة. الوداع... الوداع.

(يعود لحالته السابقة ليكمل حكايته)
قطعت السيارات زهاء الساعة قبل أن تقف ويأمرونا
بالترجّل منها وهم يدفوننا بأعقاب البنادق أيضاً. أدخلونا
قصرًا رئاسياً منيفاً وفي إحدى غرفه أزاحوا العصابات عن

أعيننا. كان بعضنا مكدّساً فوق بعض، وعددنا أكبر من أن تسعه أية غرفة من غرف القصر. ولكي نبقى أحياء فإنهم تكرّموا علينا بكسرة خبز وشربة ماء في الصباح وأخرى مثلها في المساء. وحدث إن دخل علينا أحدهم مسلّحاً وهو يجهر بصوت أمر:

(يقلد صوت المسلّح)

هيه أنتم. من منكم يحمل رتبة ضابط أو أية رتبة أدنى؟ قال بعضنا: (نسمع صوتاً جماعياً) "نحن"

ظناً منهم أنهم سوف يعاملون معاملة حسنة فاقتا دوههم إلى خارج الغرفة. لم نسمع ما دار بينهم من حديث ولكننا سمعنا صوت الرصاص وأيقنّا أنهم لقوا حتفهم جميعاً.

(يختلط صوت الرصاص بصراخ القتلى فيسدّ أذنيه بيديه بقوة وهو يتعدّب. تمر فترة صمت قصيرة ثم يجهد بالبكاء. يتوقف. ينظر صوب جمهور النظّارة)

لا تظنّوا أنني خائف من الموت. لقد شعرت بدنوّه لحظة غادرنا القاعدة. فقط أنا أتعدّب من أجل أمي التي ستظلّ وحيدة مستوحدة في عالم قاس لن يمدّ لها فيه أحد يده ليعينها على النهوض. أنا عونها الوحيد ومع ذلك لم تمنع في ابتعادي عنها أو التحاقي للدفاع عن الوطن. (سارحاً بعض الشيء)

إيه ما أثقل حملي عليك يا أمي.

(تدفع باب الغرفة بقوة فيفز. يسمع صوت أحدهم)
"هيه. من منكم من الطائفة المعادية فليذهب خارجاً،
ومن كان غير ذلك فليظّل في مكانه"

هكذا ألقى علينا أمره بشكل مفاجئ فبقيت مع من
بقي في مكانه ولم أنس بنت شفة وفي داخلي يتربع
الخوف الجهنمي. الخوف من افتضاح أمري وكشف
حقيقة انتمائي للطائفة التي غادرت الغرفة. وما كدت
أسحب نفسي حتى تعالت أصوات الرصاص الممزوج
بصرخات الموت فجمد الدم في عروقي، وتذكّرت قائد
كتيبتنا الذي جردنا من السلاح، والوثائق، والموبايلات،
وسألت في قرارة نفسي: ترى بأي ثمن سلّمنا لهم هذا
القائد العجيب؟ وكيف يمكن لخائن مثله أن يخون كلّ
شيء في حياته؟ وتذكّرت ما قرأته ذات مرة للسياب:

إن كان معنى أن تخون

فكيف يمكن أن يكون

أيخون إنسان بلاده

(يمكن أن تكون قراءة الأبيات مسجلة)

أرعبني دخول مسلّح آخر للغرفة التي بقينا فيها وراح
يدقق النظر في وجوهنا، وكمن اكتشف سرّاً أشار بسبابته
قائلاً:

(مقلداً صوته)

هيه.. أنت.. تعال إلى هنا

نهضتُ وكانت نبضات قلبي تدق بمطارقها دقاً مؤلماً
على كلِّ جزء من أجزاء جسمي ولكنني استطعت من
السيطرة عليها. قال المسلّح:

اجلس أنت يا غبي لم يحن دورك بعد. هيه أنت انهض.
نهض الشخص الذي كان يجلس قريباً مني، وغادر
الغرفة مع المسلّح بعد أن عصّب عينيه. لا نعرف ماذا
حدث بعد ذلك لكن الشخص عاد إلينا وقد وهن جسده
وبالكاد يستطيع حمل نفسه على قدميه. الغريب أن بعض
الأشخاص لم يعودوا إلينا.. ربما جرت تصفيتهم بطريقة
أو بأخرى. أعني بنحرهم بعد أن افتضح أمر ادعائهم
للطائفة الأخرى أثناء التحقيق. وبعضهم عاد دون أن
يمسّوا ولو شعرة واحدة من جسده. وعرفت من هذا أنهم
يرومون جر الانتباه إلى كونهم جاءوا منقذين ومحررين
لطائفتهم حسب. استمر التحقيق ساعات طوال على هذا
المنوال. وكلّما انتهوا من شخص أشاروا لآخر، وآخر
حتى وقع الاختيار عليّ أنا.

(فترة صمت)

أدركت أن ساعة الموت قد حانت ثانية وإنني على مبعدة
خطوة منه فثمة أكثر من سبب لقتلي الآن بعد أن حاولت

تضليلهم للإبقاء على حياتي. عصّب عينيّ ودفعني بشدّة إلى خارج الغرفة، وعندما دخلت غرفة التحقيق انهالت عليّ الضربات كالمطر، وإذ توقفت زخاته قال أحدهم:

- لماذا كذبت علينا حين سألناكم عن الطائفة والمذهب الذي تتبع؟

- أنا لم أكذب أبداً.

- وكيف نعرف أنك لم تكذب؟

- اسألوني وستعرفون حتماً إنني صادق ولا أقول غير الصدق.

- هل أنت من المسلمين

- نعم أنا مسلم

- إذن ارفع الأذان بيننا لنصلي.

- حسناً.

ورفعت الأذان، بعد لحظة تفكير بما يريدون، على طريقتهم لكنهم لم يصدقوني. فأمر المحقق بضربي ضرباً مبرحاً، وبعد أن أشبعوني ضرباً سألني المحقق:

من أي منطقة أنت فأجبتّه فوراً ذاكراً اسم منطقة غير منطقتي فطلب مني أن أصف له المنطقة فوصفتها مثلما رأيتهما في آخر زيارة عندما ذهبت متفقداً حالة صديقي الصحيّة بعد إصابته بطلق نارٍ أسود ثم طلب مني أن أذكر له اسم واحد من سكنة المنطقة وعنوانه ففعلت.

أعادوني إلى غرفة الحجز ثانية. وفي اليوم الرابع لاحتجازنا

لم يبق منا غير 150 شخصاً. ساقونا واحداً بعد الآخر
لمحكمة أعدت لمقاضاتنا برئاسة قاض شرعي، وعضوية
مدع، ومحام. صرخ أحدهم بأعلى صوته:
(نسمع صوت المنادي)
"محكمة"

فارعبني صوته المفاجئ، وحين دخلت المحكمة قال
الواقف عند مدخلها: إن اسماءنا موجودة في الكمبيوتر
الذي كان بوحدتنا، وإنهم يعرفون كل شيء ولا داعي
للكذب. سألني القاضي من أنا، ومن أي عشيرة ومذهب،
فأجبتة بلا تردد عن النقاط الثلاث. قال إذن ارفع الأذان
فرفعته كما في المرة السابقة فقال لي أخرج فخرجت
لأفاجأ بأحدهم وهو يحمل خرطوم ماء. قال أمراً
إيائي: توضأ فتوضأت لكنني أخطأت في مسح الرأس
والرجلين وما كدت أنتهي حتى بدأ الكل بضربي ضرباً
مبرحاً تكسرت بعض أضلاعي من شدته

(يمثل حالات الضرب المبرح وهو يتلقاه أو يحاول تجنبه
ومن شدة بعض الضربات فإنه يستمر بالصراخ حتى
يتوقف عن الحركة ويغرق في الصمت قبل أن ينهض
... ثانية)

قال القاضي: لماذا كذبت علينا فأجبتة من فوري أنا لم
أكذب عليكم. أنا أمي لا أعرف القراءة والكتابة. أنا يتيم

ولم يعلمني أحد الصلاة فأمرهم القاضي بالكفّ عن ضربي، ووضعني في قاعة الأسرى غير المشكوك بطائفتهم. كان الوقت يمرّ بطيئاً جداً، وثقيلاً جداً وكنا نعدّ اليوم الذي يمرّ بنا دهرًا من الترقّب وانتظار مصيرنا المجهول.

في خامس أيامنا الثقيلة تلك أطلّ علينا أحدهم، وقال مبشراً إيانا أن خليفة المسلمين قد أصدر عفواً لأسرى هذه القاعة معتذراً عما لحق بنا من التعذيب والإهانة فجاء بعضهم مسلّماً علينا، ومصافحاً أيدينا بعد أن منحونا مبلغ خمسين ألف دينار للوصول إلى عائلتنا. وبهذا شعرت أنني نجوت من الموت، وأني سألقي بنفسي أخيراً، وبلهفة كبرى في أحضان أمي التي تنتظرنني على أحرّ من الجمر. (تطفأ الأضواء).

الخطوة الثالثة

(على شاشة خيال الظل يظهر الجندي مع زمرة من المسلحين بملابسهم السود، وشعورهم الكثة، وهيئاتهم الخرافية المخيفة. يعطون الجندي بعض الأوراق النقدية، ويساعدونه في الصعود إلى سيارة من سياراتهم ثم تنطلق السيارة إلى خارج المكان. يدخل إلى المسرح راجلاً)

أبلغونا أن نذكر كلمة المرور في أي سيطرة نمرّ بها. كنا أكثر من خمسين أسيراً عندما غادرنا مجمع القصور الرئاسية. تركونا في منتصف المدينة التي تحوّلت بفضلهم إلى مدينة أشباح، وكان الليل قد انتصف فنمنا على الأرصفة المعقّرة حتى الصباح. راودتني أحلام العودة لبيتي والارتقاء بأحضان أمي. حصلنا على سيارة أجرة مرّت بكلّ نقاط التفتيش دون أذى بفضل كلمة المرور التي كنا نتسابق في قولها لهم قبل أن تثار حفيظة أحدهم فيقوم بتصفيتنا دون اكتراث. شكرنا الله على عودتنا سالمين ناجين من موت أكيد. طلب السائق منا الترجّل قبل الوصول إلى إحدى نقاط التفتيش القريبة من أول مدينة وصلنا إليها. ترجّلنا من السيارة، ووقفنا على جانب الطريق ونحن نشير للسيارات علّ إحداها تقلّنا إلى المدينة. ومن حسن حظّنا أن إحداها توقفت فعلاً وكانت في داخلها عائلة نازحة قصصنا عليها ما حدث لنا فتعاطفت العائلة معنا. التهمت السيارة الطريق التهاماً ولم يبق بيننا وبين العاصمة سوى سبعين كيلومتراً.. في تلك اللحظة داهمتنا نيران مفاجئة كثيفة وقاتلة صبّت علينا جحيمها من جهة البساتين القريبة من الشارع العام.

(يتعالى صوت الرصاص، وأصوات صراخ النسوة ممزوجاً بصوت محرّك السيارة وفراملها وارتطامها

يأخذى السيارات المحترقة على جانبي الطريق وهو يقوم بتجسيد الدور وبعد الاصطدام يسود الصمت برهة) قتل السائق، وأصبت أنا بطلقتين في ذراعي وأخرى استقرت في عظم الحوض بينما اخترقت الرابعة ساقى اليمنى. نظرت إلى رفيقي فهالني مرأى يده مبتورة نازفة بشدة. فتح باب السيارة عازماً على الهروب صوب المدينة لكن رصاصهم تمكّن منه فسقط مضرجاً بالدم. اضطررت أن أمزق قميصه لأربط ساقى علّ نزيها يتوقف، وفعلت الشيء نفسه مع ذراعي وحوضي وبقيت بين الجثث ساكناً ومتوقفاً عن الحركة. غفوت ولا أعرف كم مضى عليّ من الوقت. أيقضني صوت محرك سيارة قادمة نحوي وأرخيت السمع لأشخاص بدا إنهم مستأثرون من منظر النساء قتيلات داخل بعض السيارات المنقلبة ومع هذا لم أتحرك أبداً حتى غادروا المكان.

في المساء زحفت خارجاً من السيارة عسى أن أجد من يتقذني ولكن دون جدوى فعدت إلى السيارة وبصعوبة فتحت صندوقها بحثاً عن شربة ماء وكان فرحي كبيراً عندما وجدت قنينة ماء ممتلئة. شربت وتركت جسدي، طلباً للراحة، تحت السيارة المدمرة. كان مرأى السيارات مؤلماً جداً وكنت أنظر بحزن إلى الطريق وفي داخلي تتصارع رغبتان: أن تأتي سيارة لانتشالي وأن لا تأتي

أبداً لأن مصيرها لن يكون بأفضل من مصير السيارة التي أقلتنا إلى هذا الموقع المميت. أربعة أيام خلت وأنا أسير هذه الرؤى الكابوسية القاتلة.

في اليوم الرابع قدمت سيارة وكان فيها رجل وزوجته وابنه وما إذ أطلقوا النار عليهم أوقف الرجل سيارته وفرّ هارباً مع ابنه صوب دكاكين مهجورة واحتميا بها من وابل الرصاص، وعندما قدمت مدرعة الإخلاء فإن الرصاص ازدادت وتيرته، وصار أكثر كثافة من المطر. في هذه الأثناء ركض الابن نحو المركبة المدرعة فسقط قريباً منها بعد أن تعثر بحجر فهرع لإنقاذه أحد الجنود. وضعه داخل المدرعة وانسحبت حالاً تاركة والديه.

يبدو أن أكثر من موت ينتظرنا على قارعة الطريق فإن نجونا من الجرذان السود فثمة جرذان آخر في انتظارنا على امتداد الطريق، وليس لنا إلا أن نسلّم أمرنا بيد الموت. ما الذي يمكن فعله ونحن مثخنون بالجراح النازفة؟ لقد وقعنا فكثرت سكاكيننا. ترى هل سنصل إلى خط النهاية في هذا الماراثون الجهنمي؟!

في اليوم اللاحق عادت المدرعات. ووسط جحيم من الرصاص تمكن الجنود من إخلاء الرجل وزوجته. أما أنا فبقيت في محلي لا أعادره لأن المسافة بيني وبين الجنود

طويلة لا يمكن قطعها بسهولة تحت مطر الرصاص
الكثيف فغفوت على جراحي، أو ربما دخلت في غيبوبة
لا أعرف أمدّها ولكنني حين أفتت رأيت شخصاً ما
يسحبني من تحت السيارة وأنا أئن أنيناً متقطعاً. سألني:
- من أنت؟

أجبت:

- أنا منكم

حين صرت خارج المكان حاول مساعدتي على الوقوف
لكنّ ساقبي النازفة حالت دون ذلك. أشار لرفاقه فأتوا
ببطانية وضعوني عليها، وحملوني إلى واحدة من أربع
مدرعات كانت موزعة على جانبي الطريق. أخذوني
إلى معسكرهم وقبل أن يباشروا بتضميد جراحي الغائرة
فتحوا صفحة جديدة للتحقيق معي ولا أدري إلى ماذا
أو إلى من سيقودني التحقيق هذه المرة.

كنت على مبعده ثلاث خطوات من الموت ونجوت.
ترى هل سأنجو من رابع الخطوات؟
(يهمّ بالإجابة لكنه يتوقف فجأة قبل خروج الكلمة من
فيه فتوقف الصورة على خشبة المسرح، وتحيط به دائرة
من الضوء المتوهّج تستمر مع صوت المارش فترة قصيرة
قبل حلول الظلام على أجزاء الخشبة كلّها).

النهاية

مونودراما اطلاقة واحدة حسب

مهدة الى مصطفى في رحلته الأخيرة

تطفأ الأضواء، ويسود الظلام أرجاء المسرح. نسمع من خلال الظلام صوتَ محرك ناقلَة (بيك أب) مع لغط غير واضح وضجيج بشري. تتقدم الناقلَة من عمق منتصف المسرح حتى تتوقف في وسط الوسط. دائرة الضوء التي تحيطها يضيق محيطها شيئاً فشيئاً عازلة الدمى السود عن المقاتل المحكوم بالإعدام وهو لا يزال يرتدي زيّه العسكري ويقف في مقدمة الدمى على ظهر الناقلَة حاسر الرأس. اشباح من الدمى البشرية نراها بصعوبة على جانبي الناقلَة بأشكال مختلفة: بعضها يرفع يده مبتهجاً، وبعضها الأخرى يغطي ملامحه الوجوم على الرغم من ابتسامته الغامضة. بعضها في حالة مسير وبعضها الأخرى يصفق بحرارة. تعرض على الخلفية (السايكوراما) وقائع المعركة التي اشترك فيها المقاتل بلقطات سينمائية مختلفة:

لقطة عامة: تظهر ساحة المعركة الدائرة بين الطرفين حيث يتبادل الطرفان إطلاق النار الكثيف بالأسلحة المختلفة.

لقطة ترافلنج: التقدم بعدسة الزوم نحو المقاتل الذي ظلّ ثابتاً في موضعه القتالي.

لقطة متوسطة: انسحاب القطعة المقاتلة الى الورا.

لقطة قريبة: المقاتل ينظر في إثر حضيرته. يشير لهم بالانسحاب مشاغلاً العدو.

لقطة متوسطة: سقوط عدد من القتلى برصاص بنديته، وتوقف رمي الرصاص المعادي.

لقطة متوسطة: يقرر اللحاق بحظيرته. يخرج من موضعه القتالي راکضاً بسرعة كبيرة.

لقطة قريبة: احد جرحى العدو ينهض. يسدد بندقيته نحو المقاتل. يطلق النار عليه.

لقطة متوسطة: يصاب المقاتل بقدمه اليسرى فيسقط أرضاً. ينادي على أفراد حظيرته لكنهم يستمرون بالانسحاب. يزحف محاولاً الابتعاد بصعوبة بالغة. يتكئ على بندقيته متوجهاً إلى أقرب بناية أصابها دمار الحرب.

لقطة قريبة: الجريح الذي أصاب المقاتل يشير لجماعة خلفه بالتقدم صوب البناية.

لقطة متوسطة: مجموعة من أفراد العدو يتقدمون صوب البناية بصعوبة. بعضهم يصاب بنيران المقاتل وبعضهم الآخر يستمر بالهجوم. واذ ينفذ رصاص المقاتل يقتحمون المكان ويلقون القبض عليه. يخرجونه من البناية بالركل والضرب بأخامص بنادقهم حتى يكاد يغمى عليه ثم يجرونه صوب الكاميرا حتى يملأ وجهه الشاشة (كلوز اب) قطع. ينتهي الفلم.

ملاحظة : يمكن لمخرج هذا المشهد السينمائي إضافة ما شاء له من اللقطات التي تتلاءم وطبيعة الحدث، أو الاعتماد على السيناريو الذي اقترحه السيناريست رياض حسن والمنشور كملحق بهذه المسرحية.

المقاتل: (من مكانه في الناقله وهو لا يزال محاطاً بقعة الضوء الصغيرة)

أنا سائر الآن إلى حتفي، ومفارق كل من أحببت. رحلتي الأبدية ستعزلي عن هذا العالم المليء بالشر، والظلام، والظلاميين، وأنا العارف أن أمي ستبكي عليّ بدموع من دم. أكاد لا أرى أحداً أمامي سواها فهي الرحم الذي منه ابتدأت حياتي وأحث الخطى لأصل إليه في نهاية المطاف فلا فرق عندي بين رحم الأرض أو رحم أمي فالرحم هو الرحم ولا شيء سواه. حمداً لله أن أبي رجل لا يزال محتفظاً ببعض قوته وجلده على الرغم من شبح العمر الذي يلوح للشيوخوخة بالدنو المبكر، ولا شك عندي أنه سيتعامل مع غيابي برجولة وحكمة كافيتين لإنزال الطمأنينة على قلب أمي.

(يترجل من الناقله. يوجه كلامه لبعض الدمى في جانبي المسرح)

سأمدد جسمي باسترخاء تام في ذلك الرحم، أعني القبر الذي ينتظرنى بلهفة عجيبة وسأغفو بعمق أكثر مما يتصور الموتى.

(يلتفت إلى الدمية التي غادرها قبل لحظات. يحقق فيها ملياً يستقرأ ملامحها)

هيه أنت. لماذا غطت الدهشة ملامحك الشاحبة؟

(صمت) يبدو أنك لم تجرب الموت من قبل. أعني إنك لم تواجهه يوماً ما طوال حياتك على الرغم من حضوره المستمر، واقتفائه أثر الحياة في شوارعنا المكتظة بالعار والدمار شأنك شأن السائر في نومه وهو لا ينفك ينظر إلى بقعة ضوء قادمة من اللانهاية. سيطلب منك أخيراً أن تواجهه ولكنك ستبدو لنفسك عاجزاً تماماً لهذا سترتعش أوصالك لمجرد رؤيته ولو لحظة واحدة حسب، وسيصاب قلبك بالعمى، وتشلّ الدهشة أطرافك فترتعش وترتعش حتى تسقط مغشياً على نفسك بين قدميه مثل امرأة هلوك. (صمت) هيه، افق من غيبوبتك المبكرة وأنظر لذلك الرجل.

(يشير إلى الرجل أو إلى الدمية التي تمثل هيئة الرجل وهو يرفع يده ليحيي الدمى السود التي لا تزال واقفة داخل الناقلة)

هل تستطيع أن تقول لي لماذا يحيي ذلك الرجل الجردان السود مبتهجاً كوني أسيرهم وهو العارف أنني ما قاتلتهم إلا دفاعاً عن حياته البائسة؟

(لا جواب يصدر عن الدمية الرجل)

حسنًا أنا أقول لك. ذراع ذلك الرجل تعمل لحالها فهي تدرك رهبة الموت وقسوته الرهيبة القادمة مع هذه الجردان ولا بد لها ان تتحرك دفاعاً عن الجسد المشدودة إليه بخيط الحياة الرفيع. صدقني لا دخل للايمان والكفر

في هذا فإن وقع بين أيدي كافرة كفر، وإن وقع بين أيدي مؤمنة بالغ في إيمانه حتى يقي نفسه رهبة الموت التي ترتبص للانقراض على الأرواح الهائمة في شوارع الموت المدلهمة التي اختلط سوادها الحالك بحمرتها الدموية القانية.

(يترك الدمية ويتوجه نحو الرجل المرفوع اليد. يقترب منه. يخفض له ذراعه المرفوعة)

لا تتعب يدك كثيراً فقد مرّت قوافل الظلام متجهة صوب الجسر لا لتعبر عليه إلى حيث نور الحياة وبهائها الأسر ولكن لتمتحن نفسها من خلالي فتعرف كيف يمكن لمن هو مثلي استقبال الموت ممن هو مثلهم. إنهم مثلك تماماً فمن وقع منهم بأيدينا لم يكن أقل منك خوفاً من مغادرة الحياة على جناح ذبابة. ومنهم من استمرراً الآخرة لما وعد به من حور عين وهو لم يحصل في حياته ولو على مؤخرة بغلة عرجاء سائبة لكنه حالما يلاقي الموت تضيع منه الوعود، ويفر هارباً منه مرتجفاً قابضاً على قشة تنجيه من غرق محتوم لا نجاة منه إلى أبد الأبد.

(يقترب من دمية أخرى تبدو أقل عمراً من بقية الدمي) هل تعرف إنهم يختارون الأكثر جيناً والأشدّ رغبة في الاستحواذ على فردوسيات الجمال والإثارة ليرتدوا

الأحزمة الناسفة؟ هل أقول لك لماذا؟ لأنها الطريقة الوحيدة التي تسهّل العبور من الحرمان والكبت السادي إلى المجون والنشوة المنتظرة. هذه الطريقة لا تدع لهم فرصة اللقاء مع الموت وجها لوجه ففي لحظة خاطفة (يمثل صوت الانفجار) بُم يجد نفسه بين الأحضان الدافئة التي لم يجد أكثر دفئاً منها مذ غادر دفاء الرحم متجهاً إلى زمهرير الحياة. الآن قل لي: هل حلمت بفخذ فردوسي، أو نهدين نافرين، أو عجيزة ثقيلة مكورة؟ عينك تفضحان استسلامك للشهوة فهل تريدها بحزام ناسف أم بشرج مفخخ شرّع له المشرعون، وأعطى المفسرون دليل توسيعه لمن يفخخون؟ لماذا ترتجف وكأنك اوراق شجرة خاوية؟ أخشية من تلك الجرذان البشعة؟ اسمع أنا ذاهب للموت ولن أخشى أحداً منهم بعد أن أرسلت بعضهم للجحيم. قلبك لا يزال مفعماً بالحياة نابضاً بها فلا تدع الخوف يسلبها منك.

(يتركه متوجهاً نحو الدمية التي تصفق بحرارة. يربت على كتفها وهو يبتسم بوقار)

صَفَّقْ لهم ما شاء لك التصفيق ولكن لتبق عيونك قادرة على التمييز بين الجرذان والققط فان هذا مدعاة لنجاة روحك من القلق والارتباك الذي وقعت فيهما بغفلة منك. لا يحزنني تصفيقك وانا أموت نيابة عنك فقد

سبقني إلى هذا كثيرون غيري، الآن وفي الماضي، بل في كل الأزمنة الغابرة. (يبتعد عنه) ربما تحقق هذه الجرذان نصراً هنا أو هناك وربما تستطيع تنصيب نفسها قيّمة على الناس (يلتفت إليه) ولكن هل تعرف كيف سيقومون الحق عليكم؟

(صمت قصير. المقاتل يهز رأسه علامة الرضا)
بالمقتل حرقاً، أو ذبحاً، أو رمياً بالرصاص، أو بالشنق، أو بتمزيق الأجساد وأكل قلوبها النيئة في طقس شيطاني ولكن بمسميات إلهية.

(يتجه صوب جمهور النظارة)

كثيرون بدأوا بتصديق هذا التخريف المثير: المحرومون والمعتلمون لنار الشبق وجحيم اللذة والمتعة، والجوعى لثمار الجنة، والعطشى لخمورها، ومجونها، وعسلها، ولبنها، وولدانها المخلدين. أما الحالمون بمأدبة إلهية فانهم يستسهلون التفجير حتى وإن حشروا لهم المتفجرات داخل شروجهم. فان تشظوا عند الظهر فإنهم سيحظون بمأدبة عشاء كبرى عند الزوال. انظروا لذلك الرجل. لقد اقترب مني كثيراً ليصورني وليحتفظ بصورتني بين ملفاته فهي تعني له الكثير من الاطمئنان والاسترخاء. وتعني أيضاً إنه وضع مسافة كافية بينه وبين الموت فاقترابه وتصويره يزرق القتلة بمورفين الشعور

بالانتصار عليّ كما لو أنهم ينتصرون على الناس جميعاً. كنت وهم يطوفون بي في شوارع المدينة أشعر بنبضات بعض قلوب الناس وهي تخفق بقوة حزناً عليّ، ومواساة لي في محنة الموت وهم يظنون أنني أخشى هذه المحنة وأركع تحت سطوتها القاتلة. كان الجميع يظنون ذلك إلا أبي فهو الوحيد الذي اقتنع بنيلي الشهادة في سبيل الحصان الجامح الذي كبا لوجهه فكثرت سكاكينه الغادرة.

(يخرج من جيبه موبايله الخاص. يضرب بعض المفاتيح فيه ثم يتحدث مع والده)
آلو، بويه أنا ابنك. اصغ لي إن سمحت. أنا هنا وحدي. انسحبت كل القطعات. وأنا أذود عن حظيرتي التي انسحبت هي الأخرى. ومن سوء حظي أن اطلاقاً اخترقت ساقي فكسر عظمها وبصعوبة بالغة تمكنت من الاحتماء ببناية طالها خرابهم. أنا الآن وحدي وأراهم يتقدمون صوبي ولم يبق لي إلا ستة عشر اطلاقاً حسب. هل تستطيع الاتصال بالقيادة كي تتشلمي من هذا المكان. انتظر منك أن تقوم بالاتصال بأسرع وقت. أنا بانتظارك يا أبي.

(يغلق الخط ويعيد الموبايل إلى جيبه. يفكر. ينظر باتجاه العدو)

اللّعة عليهم إنهم يتقدمون نحوي ليضفروا بأسري ولكن هيهات أن أدعهم يفعلون. كلّ إطلاقه في بندقتي ستخترق رأساً من رؤوسهم الشيطانية الشعثاء. أوصاني أبي أن أكون على جانب من الحذر الشديد ريثما تصل قوة لتتشلني من هذا اليم الهادر المميت. أراد أن يطلق المزيد من الوصايا لكنني لم أسمح له بذلك فالوقت يمرّ سريعاً كما لو أنه يتسابق معي بسرعة قذيفة حارقة خارقة. المكان هنا غير آمن على الإطلاق ولا أظن أن قوة ما تستطيع إنفاذي فقد بدأت الجرذان تتجمع بسرعة حولي ولا مرد لها إلا بأسري. أعرف إنني سأكون بيّتهم للناس على الانتصار، وربما لن يقتلوني إلا بعد أن يطوفوا بي في شوارع المدينة. سيختارون كعادتهم رجالاً بقامات طويلة، وأجساد ضخمة، وعضلات مفتولة، وملابس سود نظيفة، ليقفوا إلى جانبي كي يجعلوا الناس يرون قوتهم ويزدرون ضعفي (منتفضاً) لن أكون ضعيفاً وسأجعل الناس في كلّ مكان يستنكرون فعلتهم، وتمزيقهم لجسدي الذي لن يستسلم لهم إلا إذا خانت ساقه العاجزة. (يتبته لقدومهم) تعالوا إليّ أيها الجبناء الحمقى. سأرسلكم إلى حواري أحلامكم المريضة. فلا سبيل لتنظيف رؤوسكم مما حشر فيها من فتاوى خرافية في الباه والنكاح إلا بقذفها إلى مستقر لها في الجحيم.

(يصوب بندقيته نحو العدو متابعاً حركة أحدهم. يطلق النار)

رأس آخر من رؤوسهم يغادر جسده إلى الأبد (يصرخ بأعلى صوته)

اسمعوني أيها الجرذان السود. أنا أدّخر لكلّ رأس منكم رصاصة. فإن كنتم لا تخشون الرصاص تعالوا إليّ فأنا وحدي في هذا الموضع المنعزل. ألا يجراً واحد منكم على الاقتراب؟

(الصدى وحده الذي يتردد في ارجاء المكان. يعود إلى جمهور النظارة)

لا أحد منهم يجراً على الاقتراب من الموت على الرغم من يقينهم المطلق أن في موتهم ربح هائل لكم هائل من الحوار الحسان (يتوقف قليلاً) الموت سرّ عجيب مع أنني لا أرى أي عجيب فيه، فما هو إلا الجسر الذي يربط بين ضفتي البداهية أو إن شئت البداية والنهاية ضمن دائرة تجدد نفسها بنفسها على الدوام.

(يرن جرس الموبايل فيرد عليه بسرعة ولهفة)
آلو... أبي هل حصلت على معلومة من القيادة؟
(يتوقف بشيء من الدهشة) أخي! حسنا قل لي ماذا ستفعل القيادة؟ هل سترسل فريق انقاذ؟... (مفاجأ)

ماذا!... ليس لديهم معلومات عن وجود أحد هنا!
اذهبوا إذن إلى كتيبتى... ماذا! ذهبتم ولم تحصلوا على
نتيجة! لماذا؟!... ليس لديهم أوامر للإنقاذ! ماذا تقول! لا
يمكنكم الوصول إلى هذا المكان دون دعم عسكري...
أفضل الموت وحدي على مغامرتكم بأرواحكم... لا يا
أخي لا لا يمكن هذا... لا تنس أرجوك أن وجودي
هنا هو للدفاع عنكم، عن حرائرنا اللواتي يطمح العدو
إلى سبيهن، واذلالهن، وتحويلهن إلى حاويات لقتلاتهم
الشبقية... لات وقت بكاء... سأثبت في موضعي حتى
الطلقة الأخيرة... لم يبق لي إلا بضع رصاصات... لا
تخف فهم لا يزالون خائفين مني ويروني القابض على
أرواحهم الضالة... نفذ مني الماء وأشعر بعطش شديد...
لا... لا تفكر بهذه الطريقة الجنونية... سأصمد غير
هَيَّاب بالموت الذي ينتظرنى فلقد صرت وإياه قرينين...
سأتركك الآن مضطراً... لقد بدأ أحدهم بالاقتراب ثانية...
دعني أصطاده يا أخي... إلى اللقاء.

(يرفع بندقيته. يصبوب فوهتها نحو العدو. يطلق رصاصة
واحدة)

إصابة دقيقة جداً (إلى الجمهور) لن يجرؤا على
الاقتراب، ولا سبيل لديهم لمعرفة ما إذا كانت ذخيرتي
قد نفذت إلا بإرسال أحدهم للاستكشاف، والموت على

يدي طبعاً. هذا يمنحني بعض الوقت فقد تنجح واحدة من محاولات عائلتي في إقناع القيادة بضرورة انقاضي. ربما تظنون أنني متلهف لانتزاع نفسي من بين أنياب النهاية لأستمر في بقائي على قيد الحياة. ولم لا؟ فأنا مثل الجميع أهتم بالبقاء على قيد الحياة فضلاً عن أنني أروم الوصول إلى النهاية. نهاية الجرذان وما جاءوا به من ظلم وظلام، ولكنني في الوقت نفسه لا أخشى الموت بعد أن اكتشفت شيئاً بسيطاً من سرّه الرهيب. شيء كامن بين الخوف منه والاستعداد له. لقد درّبت نفسي عليه حتى اطمأنت له بعد أن تلاشى خوفي منه. لست متصوفاً عارفاً بأسرار الجسد وترويضه حتى ينعدم الشعور عندي بآلامه الرهيبة كما هو حال الحلاج، ولا صاحب عقيدة دنيوية تمسك بها بيقين ثابت فنسي جسده وهم يقطعونه قطعة قطعة كما هو حال سلام عادل. لقد غاب عندهما الجسد، وحضرت الروح بكلّ فاعليتها وعنفوانها، أما أنا فإنهما حاضران معي وسيغيبان معي بعد أن عودتهما على استقباله بأشكاله الداعشية المختلفة.

(يلتفت إلى الدمية التي تخطو على الرصيف بمحاذات الناقلة يتحرك مقرباً منها)
أراك تحث الخطى نحو المجهول بنشاط استثنائي ولا تعرف أن خطاك تقودك إليه طائعاً. لا تزال في مقبل

العمر ولهذا تتوق لرؤية كيف سيزهقون روحي، وكيف ستفارق الروح وعاءها وملاذها الهش. لحظات الموت مريبة ومربكة فالموت ليس بأكثر من نقطة صغيرة جداً ولكن لها القدرة الهائلة جداً على نقل الروح من عالم حيوي مبهر إلى آخر خامل ولكن أكثر إبهاراً.

(يتقدم نحوه أحد أفراد العدو فيحمل بندقيته ويوجهها إلى العدو. يتابع حركات عدوه بفوهة البندقية)

جرذ استكشافي آخر يحاول الاقتراب من موضعي المتهدم. يا له من بائس وهو ينقل خطواته بارتياح. يناور طلقتي التي لم تنطلق بعد وكأنه يراها في يقينه قادمة إليه مشحونة بالموت الزؤام. اقترب أيها الداعشي، ألا تريد الظفر بمأدبة فردوسية مزدحمة بما لَدَّ وطاب من الطعام والخمر والنساء؟ اقترب إذن. الآن لك ما تريد.

(يطلق فيرديه قتيلاً. يفحص مخزن بندقيته بإخراج الاطلاقات التي فيه. يهز رأسه بئأس)

اطلاقة واحدة حسب. هذا كل ما تبقى لبندقيتي وبعدها سيحدث الذي رأيتَه وتدرّبت عليه (يتوقف متذكراً) لأرى ما فعله أبي أو أخي، وبعدها سأودع الجميع (يتوقف مستنياً) أبي، وأخوتي، وأصدقائي، واحبائي وأ... أ...

(يتوقف عن الكلام مبتلعاً الحرفين الأخيرين)

لا... لا... لا أستطيع... أنا عاجز عن توديعها فأنا لا

أتحمل دموعها الطاهرة وأنا اشعر بانقباض رحمها لحظة بلحظة، وكأن الرحم يناديني لأحتمي به من ويل هذا الزمن المتهالك.

(يغير قليلا في مجرى الحديث)

لا تستطيع أمي التصديق إنني لا أخشى ويلهم بعد أن شاهدت طقوسهم الشيطانية الرهيبة، ودرّبت عينيّ بإصرار على مشاهدتها. قال جندي في حظيرتي: إنهم يحاولون إخافة الجميع من أجل انتصارهم، وقيمون من أجل ذلك طقوسهم الشيطانية علانية وجها، يقدمون الضحايا والقرايين البشرية فيأكلون قلوبها ويلغون دمها ليستحضروا روح الشيطان التي بها سيفرضون السيطرة على العالم أجمع... هذا هو الحلم المشترك بينهم وبين اسلافهم القدامى.

(ينظر لساعته اليدوية)

أوه كدت أنسى مهاتفة أبي. سأرن عليه الآن.

(يخرج موبايله ويضرب على مفاتيحه وينتظر الرد)

الو... أبي لا أعتقد أنكم توصلتم إلى نتيجة ما مع كتييتي... معذورون هم فالوضع معقد ومربك للجميع... لا... لم يبق لي إلا اطلاقه واحدة أوفرها لآخر جرد منهم... بعدها؟ بعدها أذهب معهم إلى حيث يكون الموت بانتظاري... لا تأسف على شبابي يا والدي

فلست الوحيد الذي باع شبابه للوطن الجريح. دعني
اودعك يا أبي... دعني أبارك بلحيتك البيضاء كقلبك
الكبير، وقل لأمي إنني لم أستطع توديعها على الرغم
من لهفتي القاتلة لسماع صوتها الحنون للمرة الأخيرة.
أبي سأغلق الخط بعد إذناك لأحطم الموبايل كي لا
يظفر العدو بأية معلومة منه قد تمنحه فرصة للتشقي.
بلغ سلامي لأخوتي وأصدقائي وقل لهم انني لم أطأطئ
رأسي للعدو... قبل لي رأس والدتي يا أبي فما من شيء
شدني لهذه الحياة أكثر من الحبل الذي ربطني برحمها،
وأنا عائد إليه الآن... أبي أرى أحدهم قادماً ولا وقت
لدي. لنقل الآن وداعاً للمرة الأخيرة... وداعاً يا أبي...
وداعاً...

(يقبل الموبايل وكأنه يقبل جبهة أبيه. يخرج منه السيم
كارت يحطمه ثم يحطم بعده الموبايل. يرفع بندقيته.
يصوب نحو العدو. يدقق التصويب. يطلق فتطفاً الأضواء)

استراليا منتصف 2015

ملحق سيناريو:

وضع المخرج والسيناريسـت الفنان رياض حسن سيناريو متكامل للمشهد السينمائي أضعه هنا لاستفادة المخرج المسرحي منه في حالة تنفيذه.

مشهد سينمائي لمسرحية إطلاقه واحده حسب رؤيا المخرج رياض حسن

مشهد(1) نهار

ساحة معركة/ لقطة عامة استعراضية

تظهر ساحة المعركة الدائرة بين الطرفين حيث يتبادل

الطرفان اطلاق النار الكثيف بالأسلحة المختلفة

(أصوات اطلاقات نارية ومدافع رشاشة)

ساحة المعركة/ لقطة متوسطة

المقاتل مصطفى في وضع قتالي على تراب الموضع الذي ظلّ

ثابتاً فيه

يطلق النار باتجاه العدو

يلتفت للوراء

ساحة المعركة/ لقطة عامة
انسحاب مجاميع من المقاتلين إلى جهة بعيدة ويسحب بعضهم
اسلحته بصعوبة مع بعض الجرحى

ساحة المعركة/ لقطة قريبة
المقاتل مصطفى يلتفت للوراء بعد الرمي

ساحة المعركة / لقطة متوسطة
المقاتل مصطفى يجثو على ساتر الموضع يؤشر بيده لرفاقه
للانسحاب

ويستمر بالرمي بشراسة
ساحة المعركة/ لقطة متوسطة
أحد عناصر العدو يسقط قتيلًا

ساحة المعركة/ لقطة متوسطة
أحد عناصر العدو يجرح بنيران مصطفى

ساحة المعركة/ لقطة متوسطة
مصطفى ينتهي عتاد سلاحه فيرميه وينسحب للوراء
محاولا اللحاق برفاقه

(اصوات اطلاق النيران تتوقف)

ساحة المعركة/ لقطة قريبة

عنصر من عناصر العدو الجريح يمد جسمه ويده بصعوبة لسلاح

قريب ويصوبه

(موسيقى ترقب تصاعدية)

ساحة المعركة/ لقطة عامة متوسطة

الكاميرا تتابع مصطفى يحاول اللحاق برفاقه

وتلقف أحد الاسلحة المرمية قرب بدن شهيد

من رفاقه

ساحة المعركة/ لقطة عامة

رفاق مصطفى في العمق ينسحبون

ساحة المعركة/ لقطه قريبه

عنصر العدو الجريح يضبط سلاحه ووضعيته للرمي

نحو مصطفى

ساحة المعركة/ لقطة عامة متوسطة

مصطفى يهروول للحاق برفاقه

ساحة المعركة/ لقطة قريبة
عنصر من عناصر العدو الجريح يتحرك قليلاً ويطلق النار
(تصاعد الموسيقى)

ساحة المعركة/ لقطة عامة متوسطة
مصطفى يصاب بقدمه اليسرى ويسقط على الأرض
(تتوقف الموسيقى التصاعديّة)

ساحة المعركة/ لقطة متوسطة
عنصر من عناصر العدو تظهر عليه البهجة لإصابة مصطفى
ويلتفت للوراء ليؤكد نجاحه للزمرة التي معه

ساحة المعركة/ لقطة قريبة جداً
وجه مصطفى وهو يتألم من الإصابة ويحاول النهوض
(موسيقى توتر)

ساحة المعركة/ لقطة متوسطة
مصطفى يحاول النهوض ومناداة رفاقه

ساحة المعركة/ لقطه عامه
رفاق مصطفى يتعدون في الافق منسحين

ساحة المعركة/ لقطه قريه جداً
وجه مصطفى وهو يتألم ويحاول مناداة رفاقه

ساحة المعركة/ لقطه عامه
مصطفى يزحف وهو يتكئ على البندقية

ساحة المعركة/ لقطه قريه
مصطفى وهو ييأس من اللحاق برفاقه يلتفت نحو
اليمن واليسار ويتبه

ساحة المعركة/ لقطه عامه
بنايه مصابه بالتدمير من الانفجارات

ساحة المعركة/ لقطه متوسطه
مصطفى يحاول الزحف نحو البنايه

ساحة المعركة/ لقطه قريه
عنصر العدو المصاب يراقب مصطفى

(موسيقى ترقب)

العنصر يلتفت للوراء لتنبيه زممرته

ساحة المعركة/ لقطة عامة

مصطفى يحاول الزحف والجري على الرجل الاخرى للوصول
للبنية

ساحة المعركة/ لقطة متوسطة

عنصر العدو يراقب مصطفى

ساحة المعركة/ لقطة متوسطة

مصطفى يصل بجهد للبنية

ساحة المعركة/ لقطة متوسطة

عنصر العدو ملتفت ليؤشر لزممرته يخبرهم بمكان مصطفى

ساحة المعركة/ لقطة متوسطة

مصطفى يتمرس بالبنية محاولاً صد أي دخيل

(موسيقى التوتر تتصاعد)

ساحة المعركة/ لقطة عامة

زمر من العدو يحاولون التقدم نحو البناية

ساحة المعركة/ لقطه عامه متوسطه
مصطفى متمرس خلف جدار يترقب

ساحة المعركة/ لقطه عامه متوسطه
زمر العدو يطلقون النيران باتجاه البناية

ساحة المعركة/ لقطه متوسطه
مصطفى يحاول تفادي النيران

ساحة المعركة/ لقطه قريه جداً
يظهر رأس مصطفى تدريجياً من خلف الجدار لمراقبة زمرة
العدو

ساحة المعركة/ لقطه متوسطه
مصطفى يجهز سلاحه لاصطياد الزمرة

ساحة المعركة/ لقطه متوسطه متحركة
(تراك)

من أمام أحد أعضاء زمرة العدو

ساحة المعركة/ لقطه متوسطه
أحد أعضاء الزمره يتقدم

ساحة المعركة/ لقطه قريبه
مصطفى يحاول مراقبه اعضاء الزمره
ويصوب سلاحه نحوهم
(موسيقى الترقب)

ساحة المعركة/ لقطه قريبه (ترك)
أحد اعضاء الزمره

ساحة المعركة/ لقطه قريبه جدا
وجه مصطفى وهو يعين سلاحه نحو الهدف لحظات هدوء
ويهتز مع السلاح من الاطلاقه

ساحة المعركة/ لقطه متوسطه
أحد أعضاء الزمره يقتل ويسقط

ساحة المعركة/ لقطه متوسطه
اثنان من الزمره يحاولان التستر والانبطاح على
الارض تلافياً من نيران مصطفى

ويؤشرون فيما بينهم حول الالتفاف

ساحة المعركة/ لقطة قريبة
مصطفى مستمر بمراقبة الزمرة

ساحة المعركة/ لقطة عامة بعيدة
للبناية والزمرة يحاولون الالتفاف حولها
(صوت اطلاقات نارية)
الموسيقى مستمره

ساحة المعركة/ لقطة متوسطة
أحد اعضاء الزمرة يصاب بنيران مصطفى

ساحة المعركة/ لقطة قريبة زوم آوت مع دولي بطيئة
مصطفى يتفقد سلاحه وكأنه يفاجئ بنضوب
عتاده يتكئ على الجدار مستسلماً لقدره
(موسيقى التوتر تمتزج بموسيقى حزن)

ساحة المعركة/ لقطة عامة
الزمرة يطلقون النار بكثافة نحو البناية

ساحة المعركة/ لقطة متوسطة
أحد قادة الزمرة ينتبه لعدم وجود نيران مضادة
يرفع يده لزمته يأمرها بالتوقف
وهو يبتسم ليلتفت وينادي
الله أكبر تكبير
(تصاعد موسيقى الحزن)

ساحة المعركة/ لقطة قريبة
وجه مصطفى ويبدو عليه التعب وهو متكئ على الحائط
كأنه مستسلم لقدره
تنسحب الكاميرا للخلف (تراك)
(في الخلف أصوات تردد الله أكبر)
الموسيقى تخفت

فيد آوت

**مونودراما
حكايات السيد الكرسي**

قبل العرض:

{نشاهد على خشبة المسرح عدداً من الكراسي المرتبة بشكل هرمي أو على هيئة زقورة. تضيق دائرة الضوء حدّ بقاء الكرسي الكبير الذي يعلو بقية الكراسي ويختلف عنها من حيث حجمه، ولونه، وزخرفته الرأسية داخل حدودها. نشاهد شخصاً ما أو هيئة لشخص ما غير واضحة ملامحه وهو يغط في نوم عميق. تتوزع خشبة المسرح تماثيل من العصور المختلفة لملوك وأباطرة سومريين، وفراعنة، وإغريق، وعدد من تماثيل الملوك والزعماء المعاصرين. تنتشر على خلفية المسرح الداكنة الزرقة بعض النجوم، وثمة شهب تمر بحركة خاطفة ملفتة للنظر. تتجمع غيوم متحركة بطريقة غرائبية موحية بعوالم غير محددة بحدود وليس لها إلا بعض الشبه بما هو أرضي. تنسحب الغيوم إلى نقطة في أعلى الخلفية وكأنها تحشر نفسها في خرم إبرة. تبدو السماء صافية، والنجوم متألئة. تستمر الموسيقى مع يقظة الشخص تدريجياً. يرفع رأسه إلى الأعلى ليتبين حدود السماء. يخفض رأسه ليرى التماثيل والكراسي. يتوقف إذ يرى الكرسي الكبير. يدور حوله بطريقة استعراضية. يجلس عليه بارتياح. يحاول الوقوف ثانية لكنه لا يستطيع. يتحرك قليلاً فيجد أن الكرسي ملتصق به. يتحرك موضعياً حول نفسه نصف دورة وعندما يستدير إلى الجهة الثانية ينتزع نفسه بقوة. يقف. ينظر بدهشة إلى الشخص الذي ظلّ جالساً في محلّه لا يريم وكأنه انفصل عنه. يهبط إلى الأسفل. يتقدم من جمهور النظارة. يقف عند حافة المسرح. يوجه كلامه إلى الجمهور}

الكرسي: هذا أنا.

(يكرر نقل الإشارة بين نفسه والكرسي الكبير)

منذ آلاف السنين وأنا مبتل بهذه الكراسي

(يشير إلى الكرسي)

إنها تسبب صداعاً في رأسي، وعطباً في ذاكرتي فأنسى

ما أريد استرجاعه بالضبط...

(يتوقف صامتاً ثم)

يصعب عليّ أحياناً أن أتذكر متى استخدمت أول مرة مع

أنني أحفظ تاريخي بشكل تفصيلي. وأعرف كما يعرف

كلّ واحد منكم نفسه أن ليس لي من يرثني فأنا الكرسيّ

الوحيد وكلّ هذه (يشير إلى الكرسي) نماذج تشبهني ولا

ترتبط بسلالتي الجينية الفريدة...

(يتوقف متذكراً)

عندما صنعني الكهنة قبل توحيد دويلات المدن في

أريدوا استخدموا نوعاً غريباً من خشب الأبنوس. جاءوا

به من غابة قصية لا أحد يعرف عنها أو عن موقعها أي

شيء. قطعوا ذلك الخشب، ونقّعوه بإكسير لم يعرف

أحد من قبل سرّه الدفين. وبعد ثلاثين يوماً وضع كبير

الكهنة مرتسماً لهيكلتي، وأمر نجار المعبد بتنفيذه من

دون إضافات فنية أو مهنية. كان كبير الكهنة يشرف

على العمل بشكل يومي، ويسخرّ أمهر العمال لترصيعي

بالذهب الخالص، واللازورد، والفيروز. وكان كلما فرغ النجار من عمله ينفرد بي، ويسمعي كلاماً غير مفهوم على الإطلاق. حسبت أول الأمر أنه رجل مجنون، أو ساحر، أو واحد من ذرية الشياطين، ولكنني اكتشفت ذات ليلة كان القمر فيها بديراً أنه يصبّ في أذني بعضاً من شروره الخارقة. وعرفت أيضاً أنه برمجني لأنقل سرّ تعويذته، أو شفرته، أو لأقل فايروساته السحرية لكل من سيستوي على هيكلي الضخم فأبتليه بما لا يرغب الشفاء منه إلى أبد الأبدين.

(يغير في طريقة إلقاءه)

أظن أنكم عرفتم لماذا برمجني بهذه الطريقة؟ أقصد فيرسني أو، أو نقعني بفيروسات رهيبة.

(يعود إلى حاله الأول)

على أية حال، بعد انتهاء النجار مني صرت جاهزاً للعمل فنقلني الكهنة بأناة إلى بلاط الأمير بينما قاد كبير الكهنة الأمير إليّ. أجلسه في حضني فشعرت بدفء عجزته، وشممت رائحة لولا البخور الذي خفف منها لتقيأت على نفسي. قال كبير الكهنة وهو يرفع صولجانه إلى الأعلى:

(يقلد صوت وحركات الكاهن بعد أن يضع على كتفيه رداء الكهان، ويلتقط من على أحد الكراسي صولجاناً)

اليوم جئت لأنقل لكم ما أنبأني به رب الأرباب، وأوحى به إليّ ملك الملائكة. لقد شاء الربّ أن تنزل الملوكية من السماء على هذه الأرض المقدسة. وأمرني أن أصنع للأمير (اور زبابا) عرشاً دونه كلّ عروش الدنيا، وأجلسه حيث ينبغي، وأن أكون له سنداً وعوناً.

قال الرب: أنت رسولي لمن سيكون لي ظلاً على الأرض. باسمي أعلنه ملكاً على مدينة أريدو، وليقدّم له شعب أريدو فروض الطاعة والولاء.

(يلتفت إلى رجال البلاط الوهميين)
أيها الأريدويون لقد منح الربّ أميرنا (أور زبابا) قداسة لم تكن لأحد من قبل، واصطفاه ليكون ملكاً علينا.
(يتقدّم من الأمير الذي يتخيل وجوده، ويضع صولجانه على كتفه) باسم ربّ الأرباب، وبمشيئته المقدسة أعلنك ملكاً على أريدو فافعل ما يأمرك به الربّ لتُفتح أمامك طرق المجد والعظمة. وأرفق بشعبك فانه يدك الضاربة في كلّ دويلات المدن.

(يعود لشخصيته)

منذ اللحظة الأولى التي جلس فيها أور زبابا كملك لأريدو بحضني شعر باسترخاء كبير، وحبّ عارم لي وكأنه يجلس بحضن محظية لدنة من محظياته الفاتنات

المثيرات اللائي يؤججن نار الشهوة فيه كل ليلة حمراء
من لياليه الملاح. يلمسن جسده برقة وخبرة محفزات فيه
شهوة شبقية تضاعف رغبته بمضاجعتي.

(يضحك بعض المشاهدين ساخراً)

شيء مضحك ها؟ (بتأكيد) لكنه حقيقي. صدقوني إنها
الحقيقة كاملة بلا تزويق، وبلا إضافات، أو مبالغات.
طال جلوسه عليّ فتململ قليلاً. رفع ردفه الأيسر إلى
الأعلى، وسمح لبعض الغازات بالمغادرة فأصابني قرف
شديد، ورغبة عارمة في ركل مؤخرته، وقذفه بعيداً عني
لولا أن كبير الكهنة خزرني بنظرة شزراء مخيفة أجبرتني
على التوقف حالاً. أوقفت سيل القرف والغضب الذي
انتابني مجبراً، وتحملت غازات الملك على مضض،
ولم أكن أعرف أن الملوك تفوح منهم كل هذه الكمية
من الغازات المفرطة فور جلوسهم على العرش. الغريب
الغريب أن الكاهن يحب هذه الغازات، ويعتبرها زكية بما
يكفي لتكون رائحته المفضلة.

(يسمع تعليقاً وهمياً صادراً من جمهور النظارة)

ها.. ماذا قلت؟ أقلت لماذا؟ حسنا دعني أبوح لك
بهذا السر. مرة بعد انتهاء كبير الكهنة من تلاوة تعاويذه
الغامضة قال لنفسه بصوت مسموع:

(يقلد الكاهن. يرتدي الرداء نفسه بسرعة ومرونة وينزعه

بسرعة ومرونة أيضاً)

متى سيأتي اليوم الذي أشمّ فيه غازات هذه التعويذة وهي تفوح من جسد ذلك المأفون. ولم أعرف حينها أنه كان يقصد الملك. لم يستطع أحد القول أن رائحة الملك تشبه الجيفة المنتنة ولكن حدث ذات جلسة أراد الملك الاحتفاء فيها بالطفولة أن اقترب منه ابن وزيره الأول فأراد الملك تقييله إلا أن الصغير هرب بعيداً وهو يضغط على منخريه بالسبابة والإبهام. وحين سأله الملك لماذا تهرب يا ابن وزيري الأول أجابه ببراءة: ألا تعرف أن رائحتك عطنة وكريهة أيها الملك؟ ثارت نائرة الملك، وغضب غضباً شديداً، واستل سيفه، وكاد يهجم على الأطفال ويقطع رؤوسهم رأساً فرأساً إلا أن الكاهن تدخل بسرعة قائلاً له:

(يقلّد شخصية الكاهن)

صبراً جميلاً أيها الملك العظيم ما حدث هو ما أردته الآلهة العظام بالضبط. لقد اختار إله الحرب قربانه الوديع. بدمه ستنتفتح أمامك بوابات دويلات المدن كلّها، وسيكون حكمك ممتداً لجميع الآفاق.

(يعود لوضعه السابق)

عقدت الدهشة لساني، واحترت كيف تمكّن الكاهن من ابتداء قربان الآلهة وكأنه كان يعرف ما سيحدث بالضبط.

كادت النبوءة أن تتحقق لولا المؤامرة التي حاك خيوطها الوزير الأول، وأطاحت برأس أور زبابا. استطاع الوزير الأول بمكره ودهائه أن يحقق الانتقام لولده الوحيد الذي قدموه قرباناً لإله الحرب، وأراد تنصيب نفسه ملكاً جديداً إلا أن سرجون وهو ابن واحدة من نساء المعبد ولدته ووضعته على سفظ ورمته في نهر الفرات فالتقطه بستاني ورباه في بيته كما لو أنه ابنه الوحيد ولما رأت الإلهة عشتار ذلك منحتة بركتها وحبها فارتقى في الوظائف، وصار يداً ضاربة بيد الملك خرج وكره إرادة للقضاء على الوزير الأول. ولم يستطع أحد من فرسان الوزير صدّ هجومه الساحق فانقض على الوزير الأول، (يقلد حركة سرجون) وبحركة خاطفة أطاح برأسه على الأرض فتدحرجت الرأس إلى أسفل دكة العرش (يهرول في إثر الرأس الوهمي. يلمسه ثم يتركه متراجعاً إلى الخلف بسرعة) وإذ ذاك برز كبير الكهنة وخاطب الجمع قائلاً:

(يقلد صوت الكاهن وحركاته وهو يرتدي رداء الكهان) يا أبناء أريبدو المقدسة. أراد الوزير الأول أن يتلاعب بمشيئة الآلهة العظام، وأن ينصب نفسه ملكاً عليكم، وقد نسي أن المُلْكَ للآلهة دون البشر، وأنها هي التي تصطفي من البشر رسلاً وملوكاً.. وها قد رأيتم بأمهات أعينكم كيف أنها أرسلت ولدنا سرجون لينتقم لها بسيفه البتار

من الخائن للعرش. وليكون ملكاً عادلاً على يديه سيتم
بمشيئة الآلهة العظام فتح كل دويلات المدن.

(يستدير يواجه سرجون الذي لا تزال الدهشة بادية عليه..
يرفع صولجانه ويضعه على كتف سرجون)
باسم الرب، وجميع الآلهة العظام أعلنك ملكاً على
أريدو.

(يعود لشخصيته السابقة)

قدم له الجمع فروض الطاعة بسداجة مفرطة. جلس عليّ،
(يجلس على الكرسي الذي في يمين المسرح)
فشعر باسترخاء تام. والغريب في الأمر أنه كسابقه
خرجت منه حال جلوسه عليّ غازات رهيبة خنقتني،
وجعلتني أشد رغبة في القيء على لحيته المقوسة لكنني
لم أقو على فعل ذلك ففي داخلي يسري إكسير كبير
الكهنة الذي لا حدّ لنفوذه عليّ. لا أطيل عليكم. انتقل
الفيروس (ينتقل إلى الكرسي الذي في يسار المسرح)
للملك الجديد فأصيب بما لا يرغب الشفاء منه مدى
الحياة.

بعد ذلك بوقت قصير تنهى لمسمعي أن كل أمير في
دويلات المدن صنع له ما يشبهني تماماً
(يتحرك بين الكراسي)

لكنها أصغر حجماً، وأقل ذكاءً مني.

(يقف عند أحدها)

هذا الذي ترونه أمامي مثلاً صنعه أمير (حسونة) وهذا الآخر أمر بصنعه أمير (حلف) وهذا صنعه أمير (الوركاء) وذاك صنعه أمير (جمدة نصر) والذي بعده تكفل بصنعه أمير (العبيد) وذلك الأخير صنعه أمير (سامراء). لقد كان لي مع كل واحد من هؤلاء (يشير إلى الكراسي كلها) قصة فريدة لا أريد تدويخكم بها و فقط أقول إنني شهدت مصرع كل واحد منهم على انفراد.

كان سرجون رحيماً بهم

(يتحرك حركة نصف دائرية ليواجه الكراسي)

فما أن يدخل دويلة من تلك الدويلات حتى يطلب من أميرها الاستسلام. والغريب أن أي أحد منهم لم يرغب في تسليم نفسه لا لأنه مؤمن بقضية شعبه ودويلته بل لأنه لم يرد مفارقة كرسيه حتى النهاية. تصوروا لقد دخل عليهم سرجون، وقتلهم واحداً واحداً وهم يجلسون على عروشهم الزائلة وأعلن عن ولادة امبراطوريته التي دام حكمه لها زهاء خمس وخمسين عاماً بالكمال والتمام.

لقد سار كل شيء على ما يرام.

(يتقدم باتجاه جمهور النظارة)

أعني قام سرجون بخطوات هائلة لتعزيز امبراطوريته. بنى وشيّد القصور الفارهة، والمعابد الضخمة، وأهتم بالفنون والآداب، وأجزل العطاء على الشعراء، ووضع نظاماً فولاذياً للجيش، ومنح الناس فسحة من الحرية، ولكن شيئاً ما حدث في الإمبراطورية عكر صفو حياته كملك.

(إظلام على خشبة المسرح خلاله تتبدل قطع الديكور والسينوغرافيا. شاشة سينمائية تعرض تظاهرة للأكديين وهم يطالبون بحقوقهم كمواطنين أمام قصر الملك: الحرية، الديمقراطية، السلام، والعيش بأمان. تغص الشاشة بالجماهير الغاضبة. يظهر أفراد الجند الأكديين وهم ينقضون على التظاهرة ضرباً بالهراوات، وكلّ ما تيسّر لهم من أدوات القمع. تسيل الدماء، ويسقط بعض المتظاهرين صرعى. يسحل بعض الجنود الضحايا. تطفأ الشاشة ويظلم المسرح مع تصاعد موسيقى حزينة.

ملاحظة: يمكن للمخرج أن يستبدل المشهد السينمائي بمشهد صامت يؤديه الممثلون على خشبة المسرح مباشرة.

الكرسي: رأيتم كيف تعامل الملك مع أبناء شعبه الأكدي؟ لقد كمّم الأفواه المطالبة بحقوقها المشروعة. طبعاً لم يغضب من هذه الحقوق وكان يمكن أن يحققها جميعاً للأكديين ولكن مطلباً واحداً هو الذي استفزّه وأثار غضبه

ونقمته على الناس: المطالبة بتبديل الحكم الاستبدادي بحكم ديمقراطي. في ذلك المساء جاء وجلس عليّ وهو بكامل لباسه الحربي.

(يجلس على الكرسي الضخم)

ومن دون أن يدري أشبعتني ضرباً بقبضتيه الموجعتين.

(يمثل حالة الهياج والضرب على مسندي الكرسي)

لقد أفرغ كل غضبه وغيظه فيّ وأنا أئن تحته كامراً سبية ثم وقف واستدار إليّ وقال بغضب شديد:

(يقف. يواجه الكرسي مقلداً شخصية سرجون. يلتقط

الرداء بسرعة ومرونة ويضعه على كتفيه)

هيه أنت أيها الكرسي اعلم أن لا أحد يستحق الجلوس عليك غير سرجون. سرجون العظيم ذي القوة، والحنكة، والحكمة، والقداسة. سرجون فقط، وليدفن الآخرون أنفسهم أحياء في مزبلة المدينة. هل صنعت المجد والعظمة لأمنحهما للرعاع؟ هل شيّدت هذه الإمبراطورية العظيمة ليحكمها غيري؟ هل قضيت على دويلات المدن من أجل عيون بضعة أوغاد؟ لا. ليس مثلي من يستسلم لثلة حقيرة خائنة منفذة لمؤامرة حيكت في الظلام ويستحقون عليها الموت. الموت.

(يخلع الرداء ويرميه بعيداً. يعود لشخصيته)

ظل سرجون مهموماً، قلقاً لم يهدأ له بال وهو يفكر كل

ليلة بما يمكن أن يكون ضعفاً أو ثغرة في الزمرة التي تسهر على راحته حتى وافاه الأجل في العام الخامس والخمسين لحكمه الطويل، أما نرام سين فقد ورث عن سرجون قلقه اليومي، وخوفه الدائم من خيانة محتملة فضاعف رجال حمايته، وزاد من عدد الجند حتى صار أضعاف أضعاف ما كانوا عليه أيام سرجون، وعزز دعائم السور العظيم الذي يحيط بقصره الفخم الكبير، واستخدم نظاماً صارماً في التعامل مع خونة التاج المقدس فقتل، وشنق، وأزهق، وأرواحاً بريئة ثم ابتكر طريقة القتل الجماعي، وراح يلتدُّ لمرأى الضحايا وهم يتساقطون على مذابحه الباذخة حتى أن المؤرخين أشادوا بقوة دولته، وحنكة قيادته، ووسطوته، ونفوذه الذي دونه نفوذ الملوك الأكديين جميعاً ولكنهم لم يعرفوا، على الرغم من هذا كله، أنه كان مصاباً بوسواس قهري، وأستسلم جراه بعد أربعين عاماً من حكمه للموت المحتوم. أتذكر أنه في لحظات ضعفه وللملوك لحظات ضعف كباقي البشر كان يأتي إليّ مغالزلاً وكأنني جارية من جواريه، أو محظية من محظياته، أو غلام من غلامانه المؤمنين ليمارس على مرأى مني شذوذه المقرف. فإن ارتوى جلس عليّ مسترخياً وقد زال عنه قلقه العجيب. قال لي مرة بعد أن شقَّ بسيفه البتار أجساد مائة من البشر:

(يرتدي الرداء نفسه. يقلد شخصية نرام سين)
أترى كم أنت سافل ومنحط يا كرسيي الحبيب! جعلتني
وأهيم بك، وبمفاتنك التي دونها مفاتن الغانيات والجواري
والغلمان. بل جعلتني اشتهيك كأثني خارجة لتوها من
نهر الفرات.

(يرمي الرداء ويعود لشخصيته)
ثم أراد أن.. أن.. أن أن... (يتوقف صامتا) اعذروني
يمنعني حيائي من قول أي شيء عن رغبته الجنونية تلك.
بعد أن زال قلقه نام نوماً عميقاً فتسلل ولده إلى البلاط.
اقترب مني. لمسني. تحسس عجزتي باشتهاء فذهلت.
هل يمكن أن يحدث هذا في قصر له من الهيبة والسطوة،
والشهرة، والرفعة، وكمال الخلق!

(يغير في طريقة اللقاء)
طبعاً أنتم لا تعرفون هذا لأنهم لا يظهرون لكم إلا ما
يدعون فتصدقون. تجاهلوا أحوالكم المزرية، واستمروا
بالصرف على الجيش والملدّات حتى غرقوا فيها، ولم
يعد أحد منهم يهتم لحال الناس الذين أرهقهم الفقر،
وأذلّهم الجند، وأتعبهم حمل الضرائب التي لم تتوقف
عند حد معين فضعفت الإمبراطورية، ووهنت قواها بعد
أن عمّ فيها الفساد، والأحقاد. لقد بدأت معاناتي الجديدة
في تلك الفترة من تاريخ أكد بعد أن هاجمها الكوتيون

وهم أقوام جبليون لا يؤمنون بالآلهة العظام، وهم الذين
وصفتهم النصوص المسمارية بـ(أعداء الآلهة). يظلم
المسرح.

(نشاهد على الشاشة السينمائية عرضاً لهجوم الكوتيين على قصر
الملك، ودخولهم إلى البلاط، وتحطيمهم كل شيء عدا كرسي
العرش.. يمكن للمخرج الاستغناء عن السينما بالتمثيل الدراماتيكي
الصامت بعد ان تتوقف الشخصية عن الحركة تماماً)

الكرسي: إنها المرة الأولى التي أسير في موكب المهزومين مع
الغنائم والسبايا. كان الأسرى يجرون بالسلاسل،
(يمثل حالة الجر والضرب)

ويضربون بأسواط ثلثة من الجند الكوتيين، وكان الجند
يتحرّشون بالسبايا ما شاء لهم التحرش جنسياً ولفظياً،
أما أنا فقد حملوني بمهابة إلى موقعي الجديد على عربة
مزينّة بالذهب الخالص، وكان لزاماً على العامة تقديم
الولاء والقرايين تحت قوائم الذهبية.

كان الكوتيون ينشدون أناشيدهم الجبلية، ويهزّون الأرداف
وهم يرونني محمولاً بشموخ على تلك العربة. يهتفون،
ويصفقون، ويلوحون بسيوفهم التي لا تزال تقطر دماً.
يقيمون الولائم والكرنفالات. يمارسون طقوس النصر

ويبيحون للعساكر فعل ما يرغبون فيطلقون شهواتهم
الجامحة بلا حدود. يضعونني على مكان مرتفع ليراني
الجميع. ثم يطبق الصمت على المكان إذ تعلن أصوات
الأبواق عن وصول موكب الملك.

(تسمع صوت الابواق في الصلاة)

ينحني الجميع بمهابة حتى يجلس الملك وورثته عليّ
مائة عام مظلمة من تاريخ بلاد ما بين النهرين.

(يستمر في سرد الحكاية)

لقد ذاق شعب سومر وأكد صنوف العذابات والمعاناة
وكنت الوحيد الذي يحتفي بي هنا وسط ظلم وظلام
الكويتين.

(يشير إلى المكان الذي يقف عليه)

أو هناك حيث صنعت ومنحت الحياة.

(يشير إلى مكان الكرسي الضخم)

أو في أية بقعة يختارها جليسي الجديد.

مرّة سيطر قاطعو الطريق عليّ فاعتقدت أنهم سيرمونني
نهباً للنار ولكنهم كغيرهم مارسوا طقوسهم ومراسيمهم
في العراء ثم جاء زعيمهم ليجلس عليّ وسط أهازيجهم
الغريبة وهكذا صرت أتقل معهم من أرض إلى أخرى
محمولاً على عربة مطّهم خيلها، ومزخرفة ألواحها

بالفيروز واللازورد كانوا قد غنموها في إحدى غاراتهم
الشرسة حتى صادفوا من تصدّى لهم وأبادهم عن بكرة
أيهم فأعدت إلى حياة المدينة مرة أخرى، واستقر بي
الحال في مدينة الوركاء.

جلس عليّ هذه المرة الأمير أوتو حيكال الذي لُقّب
نفسه ملك سومر وأكد بعد أن قضى على الكوتيين قضاءً
مبرماً. قلت في نفسي ربما سيطول بي المقام هنا ولكنني
وجدت نفسي انتقل إلى مدينة كانوا يسمونها (أور) ربما
نسبة لملكها أور نمو الذي كانت لي معه هذه القصة.

(تطفأ الأضواء وتظلّ بقعة صغيرة منها ساطعة على
الشخصية حسب)

بعد توسع الفتوحات، وتحول أور إلى إمبراطورية قوية
وصلت حدودها إلى الشرق الأدنى شعر الملك بارتياح
كبير لأن السومريين أحبوه حباً جمّاً، وقدّسوه كما لو
أنه كبير الآلهة، ولم يعد للجيش ما يقوم به سوى إشباع
ملاذاته التي تجاوزت حدود المعقول والمقبول حتى ضاق
الناس ذرعاً...

في تلك الفترة كان نجل الملك قد شب عن الطوق،
وفتن بالسومريات أيما فتنة، وراح يتخذ منهن جليسات،
ومحظيات شئن ذلك أم أبين. لم يترك عذراء لعذرتها،

ولا زوجة لزوجها، ولا غانية لحالها حتى صار الناس يجبرون البنات، والزوجات على ملازمة بيوتهن خوفاً من تولّه نجل الملك بهن وأخذهن إلى حيث يشاء فان شبع منهن قتلهن ورمى جثتهن في نهر الفرات أو وهذا ما يحصل نادرا يطلق سراحهن ليعدن إلى بيوتهن منكسرات. اعتقد الناس إن هذا كله يحدث من دون علم الملك، وإن عيونه الاستخباراتية الموثوقة في كل مكان تغض الطرف عن أفعال نجله المشينة، ولكن ما حدث لأحد قادة الملك هو الذي وضع النقاط على الحروف، فبعد أن جنّ نجل الملك شهوة ورغبة في ابنة القائد أمر من يحضرها إليه ففعل بها ما فعل بغيرها ثم تركها لحال سبيلها فأخبرت أباهما بما حصل لها من نجل الملك وزبانيته فثارت ثائرتة وأزبد وأرعد أمام قصر نجل الملك إلا أن نجل الملك كان ماكراً فأمر رجاله بتجريدته من السلاح وإدخاله عليه فأذّله أيما مذلة.

خرج القائد وقدم شكواه للملك فأرسل في طلب نجله. مثلّ النجل بين يديه، وأمر القائد أن يوجه لنجله الإهانة بالطريقة التي وجهها له فخجل القائد من ملكه وقال بانكسار قد عفوت عنه بحضرتك أيها الملك المعظم فأكرم الملك القائد وأجزل له العطاء والهدايا، وجعله على رأس جيشه الإمبراطوري فسكت القائد حتى يومه الأخير.

في تلك الليلة السوداء عاد الملك غاضباً على غير عادته.

(يقترّب من الكرسي الضخم)

وراح يؤنّب نفسه كثيراً، ويلعن اليوم الذي جلس فيه عليّ
ثم وجه إليّ العديد من الركلات.

(يركل الكرسي)

كسر ثلاثاً من قوائمي، وخلّف الكثير من الجراح العميقة
في بدني وإذ هدأت فورة غضبه ورآني بهيئتي المدمرة
راح يبكي مثل امرأة ثكلى، (بيرك عند قوائم الكرسي
المحطمة)

ويعتذر مني ويرثي لحالي.. قال بنبرة أسف:

(يقلد الملك بعد أن يرتدي الرداء نفسه)

لا عليك يا كرسي الحبيب سأعيد ترميمك، وسأجعل
فريقاً من الحكماء يسهر على راحتك، وعشرات من
الخدم يتعاقبون على مسحك وتنظيفك.. وسأخصص
بعضاً من أبطال الجند لحملك إلى فناء القصر كلما
احتجت لمرأى الزهور.

(ينزع عنه الرداء ويرميه على أحد الكراسي. يتوجه إلى
جمهور النظارة) لم استغرب معاملته لي كما لو كنت
أثيرته من النساء. عندما استكملوا تطيبي وأعادوا إلي
هيئتي جاء الملك وجلس عليّ باسترخاء ومحبة (يجلس
على الكرسي الذي رمى عليه الرداء)

(صمت. يعود إلى كرسية)

أذهبي راشدة وإياك إياك أن تحبلي مني فالدم الذي يسري
في عروقك ليس دماً ملكياً نبيلاً.. هل فهمت؟ أخرجني
واحصلي على ما جئت من أجله. وداعاً.

(يغادر الكرسي ويعود لشخصيته)

بعد خروجها من بلاط الملك توجهت إلى الشرفة
مباشرة، ثم سمع الملك صرخة مدوية.
(تهزّ أرجاء المسرح صرختها)
لقد قذفت بنفسها من شرفة الملك إلى الهاوية.

(يستمر في السرد)

في اليوم الثاني تناقل الناس أن متسللة حاولت قتل
الملك ولما اكتشف الحرس الملكي أمرها قذفت بنفسها
من النافذة فاحتفل الناس بسلامة الملك ثلاثة أيام بلياليها.

استمر نقلي من بلاط إلى بلاط، واستمر جلوس الملوك
عليّ ملكاً بعد ملك، ولم أجد فرقاً كبيراً بين واحد وآخر
عندما يتعلق الأمر بالاستئثار بي ككرسي له من السحر ما
له من العظمة. مررت بكلّ السلالات، والامبراطوريات،
والأمراء، والملوك، والسلطين. وفي أوروك ذات
الأسوار استأثر باهتمامي خامس ملوكها گلگامش الذي

ازداد ظلمه للناس فتوجهوا بالدعاء إلى الآلهة العظام
علّها تنجيهم مما لحق بهم من المظالم. لكن الآلهة
لم تستطع فعل شيء، واكتفت بإرسال الإلهة عشتار
لإغوائه لكنها فشلت فانهاال گلگامش عليها سباً، وشتماً،
وفضحاً لكل ما ارتكبته في مغامراتها العشقية الماجنة.
وعندما يؤس الناس من الآلهة راحوا يشتمونها كما شتمها
گلگامش. واستمروا بشتمها حتى هذه اللحظة.

عرفت من أحد المؤرخين أن العراقيين هم الشعب الوحيد
الذي يسب الآلهة لكنني لم أحقد عليهم أبداً فلقد عانوا
ما عانوا من النكبات، والأهوال، والظلم ما لم يعان منه
بقية البشر. انتهى بي الحال إلى مدينة السلام وهذا هو ما
يطلقونه عليها. شعرت بارتياح كبير واسترخاء تام فناسها
مثقفون، وأبناؤها كادحون، وعلمائها مجتهدون، وساستها
مولعون بالفن، والإعمار، والجمال، والأدب الرفيع. في
قصورها الباذخة تقام السهرات، والاحتفالات، واحتساء
الخمور الراقية، والرقص على أنغام العود والدرابك
والدفوف.

كانت المدينة عامرة بالمدارس والمكتبات وبيوت العلم
والعلماء حتى اعتقدت أنها مدينة السلام فعلاً وقولاً،
وكبقية السلالات فإن حكامها أغرقوا أنفسهم في

الملذات ولم يلتفتوا لشؤون البلاد والعباد فأعاد التاريخ نفسه أو بعضاً من نفسه، ومّرت مدينة السلام بظلام، وظلمة استمرّت دهوراً.. لم يهاجمها الكوتيون طبعاً بل جنس من البشر الضاري الذين لا يبقي في المدن التي يغزوها معلماً حضارياً إلا ودمّره تدميراً. اغرورقت عيناى بالدموع وأنا أرى خزائن مخطوطاتها الهائلة ترمى بمياه دجلة. أسّرني المغول التتار، وعاثوا بي فساداً. ومع أنني كنت مدللاً بينهم كوني رمزاً من رموز انتصاراتهم الهمجية الكبيرة إلا أنني شعرت بالقرف من أساليب حياتهم البربرية...

(يتوقف عن الكلام قليلاً ثم)

شاء القدر أن أعود إلى مدينة السلام مرة أخرى فدهشت مما رأيت. رأيت أسلحة فتّاقة غريبة لم يصنعها إنسان من قبل. وأخرى تحلّق في الفضاء وكأنها الجن لكنها تمطر الأرض بوابل من... من... من من نار. احترقت مدينة السلام، وهرب أهلها طلباً للنجاة من السعير الذي صبته على رؤوسهم تلك الأجسام الجنية الطائرة. ولاذ بعضهم بمدينة أشنونا، والعجب العُجاب أن ساستها ما إن انطفأت نارها، وبرد سعيرها حتى بدأوا يصافحون غزاتها وكأن شيئاً لم يكن على الإطلاق. اتفقوا على استلام مقاليد الحكم فاستبشر بعض الخلق خيراً.

واعتقدتُ أنهم لكثرتهم سوف ينسون أمري فأهمل في ركن ما من أركان حصن الاخيضر أو ينتهي بي الحال في متحف المدينة ولكن ما أن استتبت الأمور قليلاً حتى استأثر بي واحد من أولئك الأديعاء. جلس عليّ بخوف وقلق أول الأمر لكنه سرعان ما شعر باسترخاء وراحة كبيرتين. وعلى الرغم من الزمن الطويل الذي مرّ بي منذ فجر السلالات وحتى يومنا هذا خرجت منه الغازات نفسها فأغلقت فمي وانفي وكلّ فتحة في جسدي ولكن على الرغم مني اخترقت تلك الغازات كلّ مسامة من مسامات جسمي.

كنت اسمع كلّ ليلة أصوات مفرقات نارية خارج بلاط الرئاسة، وكنت أظن أنها من اجل أفراحهم بعودتي سالما لدار السلام، ولما لم تتوقف تلك الانفجارات عرفت أنهم يستخدمونها لقتل العشرات من الأبرياء لسبب أو لآخر.

وعرفت أنهم دفعوا الناس إلى هاوية الحروب الطائفية والمذهبية و و الخ... حينها فقط، (تخنقه العبرة) بكيت وهذه هي المرة الأولى التي أبكي فيها على مدينة منذ فجر السلالات. بكيت طويلاً بدموع من دم حتى تملكنتني الرغبة بالعودة إلى نفسي (يهمّ بالعودة) وها أنا ذا أعود (يتحرك باتجاه الكرسي الكبير)

أعود.
(يجلس على الكرسي. يتوحد مع الجسم الذي ظل
جالساً لا يريم. يعتصر نفسه)
أعود... وفي نفسي... شيء... من... مدينة
السلام.

(تطفأ الأضواء إلا دائرة منها تظل مسلّطة على الكرسي
الكبير كما في بداية المسرحية ثم تبدأ بالاختفاء تدريجياً
مع الكلمات الأخيرة).

أديلايد: نهاية 2012

الفصل الثالث

مونودرامات تعاقبية

تمهيد: التعااقبية وافتراضاتها الفنية

في المونودراما⁽¹⁾

تنطلق المونودرامات الثلاث، في هذا الفصل، فنياً من المشروع الذي ابتكر أسسه الفنية المخرج المسرحي الصديق فاروق صبري، وسمح لي بتسميته (المونودراما التعااقبية) فكان نصي الأول (أسئلة الجلاذ والضحية) رائداً لهذا المشروع الابتكاري الخلاق. فما هي التعااقبية في المونودراما وما هي افتراضاتها؟

بدءاً أثبتت وجهة نظري التي لا تتقاطع أو تتعارض مع وجهات نظر بعض الأخوة ممن حاول تذكيرنا، أو الردّ علينا عبر مواقع التواصل الاجتماعي، أو الصحف اليومية بتعريف المونودراما التقليدية انطلاقاً من اعتبارهم أننا خرقتنا قانونها المركزي، وخرجنا عن وحدانيتها وفردانيتها، والذي جاء فيه "إنها العرض المسرحي الذي تمثله شخصية واحدة" مؤكداً على أن القانون الأول الذي يحكم النصوص والعروض المونودرامية هو الفردانية وهذا القانون غير قابل للنقاش أو المداولة، وله حصانة كبرى ضد الخرق مهما بلغت درجة حداثوية هذا الخرق أو ذلك. وهو العمود الفقري الذي لا يمكن كسره لأن النصوص والعروض قائمة عليه، ومن دونه يتهاوى بناء المونودراما المرصوص متحوّلاً إلى بناء تقليدي

(1) نشرت هذا التمهيد صحيفة (العالم) البغدادية في عددها المرقم 1142

والصادر بتاريخ 18 / 11 / 2014

لمسرحية متعددة الشخوص. وقد حافظت وأنا أكتب نصوصي التعاقيية الجديدة على قداسة هذا القانون. فالمسرحية تبدأ بشخصية واحدة مستحضرة ماضيها وما حدث لها وتأثير ذلك على حياتها آنيا وبشكل حيي على خشبة المسرح. ولم أدع الشخصية تتوقف عن بث شفراتها النفسية والاجتماعية والفكرية المضادة لأسمح لشخصية أخرى بالدخول إلى الخشبة لتفعل ما فعلته الشخصية السابقة ثم أعود ثانية وثالثة لأكرر الحالة حتى نهاية العرض بل، تركت الشخصية الوحيدة تكمل بوحها على خشبة المسرح (داخل النص)، وتنتهي إلى حيث ينتهي معها الفعل الدرامي مجترحا خاتمة النص أو العرض الذي تسدل الستارة على أحداثه وعلى شخصيته الوحيدة.

إن ما طرحته الشخصية (نصياً أو تطبيقياً) يمثل رؤيتها، وتعارض هذه الرؤية أو تقاطعها مع رؤية شخصية غائبة ومسببة لأزمته، ودافعة إياها إلى حزن الفردانية والوحدانية التي ينبثق عنها العنصر الأكثر أهمية وهو الصراع الدرامي الذي يتجسد من خلال حدة التناقض بين الشخصية ونقيضها، وبينها وبين نفسها، وبينها وبين الضواغط الخارجية من جهة أخرى ولكن دون أي تواجد حيي للشخصية النقيضة على خشبة المسرح من شأنه أن يخرق الوحدانية، أو أن يخرج منها دافعاً إياها إلى التعددية.

عند هذه النقطة، نقطة النهاية واسدال الستار بالمعنى المسرحي الخالص تبدأ التعاقيية حركتها منطلقة وعارضة وجهة النظر الأخرى للشخصية التي عاملتها الشخصية الأولى كشخصية متهمه في تسبب

الأزمة التي أوقعتها في حبال الوحداية المدمرة.

الشخصية الثانية إذن لا تتصل بالأولى إلا من خلال كونها ضحية لها، ونتيجة من نتائجها، ومسبباً رئيساً لأزمته. وهي تبدأ مشوارها المسرحي بعرض ما لها وما عليها مدافعة عن وجهة نظرها واختلافها عن الشخصية الأولى ضمن نسق مسرحي واحد غير خارق لقانونها العام (الفردانية). وما تقدمه يشكّل رؤية مستقلة هي رؤيتها الخاصة والمختلفة في خصوصيتها عن الشخصية الأولى. إن لها نصها أو عرضها الذي لا علاقة له بالعرض السابق إلا من خلال ما بيناه من نقاط الاتصال، وهي تأتي ترتيبياً بعد انتهاء المنودراما السابقة لتغدو المنودراما اللاحقة ومن هنا جاءت تسميتها لها بـ(التعاقبية). أما الرأي القائل بتسمية العرض الجديد بـ(عرض الحضور والغياب) فإننا نعترض عليه أولاً لكونه مبني على أساس التعددية، وثانياً لإمكانيته على أن يكون أحادياً في نص مونودرامي واحد تجسده شخصية واحدة على الخشبة من خلالها نضع أيدينا على فعل الحضور الذي تمارسه الشخصية المونودرامية، وفعل الغياب الذي يصل إلينا من خلال أزمته ومحاكمتها للشخصية الغائبة المتهمه والمحكوم عليها غيابياً.

التعاقبية إذن تفترض وجود شخصية فردانية للمونودراما الأولى تمثل مسرحيتها ثم تغادر الخشبة بعد اكتمال كل شيء. وتفترض شخصية أخرى للمونودراما الثانية كانت موجودة في ذهن الشخصية الأولى كندٍ لها ونقيض مستقل. ولا اعتراض على كون الممثل التعاقبي يقوم بدورين مختلفين اختلافاً تاماً تتحكم بإظهار مهارته

الفنية، وتقنيته، وقدرته على تمثيل أكثر من دور واحد في أمسية مسرحية واحدة. وتفترض أيضاً أن الفعل حدث على خشبة المسرح وانتهى ليبدأ بعده فعل آخر يتضمن على العناصر المونودرامية كاملة وهذا هو السبيل السليم الذي تقفو عليه خطى العملية التعااقبية. وتأكيذاً لسلامة العملية التعااقبية فقد وضعنا عنوانات النصوص بشكل يتلاءم مع مزدوجة التناقض الشخصي فالنص الأول تشكّل من مفردات ثلاث (أسئلة الجلال والضحية) فإذا استبعدنا المفردة الأولى فان المفردتين الباقيتين تعطينا انطباعاً أولياً على وجود شخصيتين متناقضتين (غالب ومغلوب) ضامنتين للصراع المباشر بينهما كحوارية ثنائية محكومة بالاتصال ولكنهما في مسرحنا التعااقبي محكومتين بالانفصال. وما ينطبق على النص الأول فانه ينطبق على النص الثاني (القاص والقناص) والمركب من شخصيتين منفصلتين أيضاً، ومتناقضتين جوهرياً فالشخصية الأولى (القاص) موكّلة للدفاع عن الحياة وجمالياتها بينما الثانية (القناص) موكلة لقتل الحياة وتدميرها.

المونودراما التعااقبية عملية تسعى إلى الخروج عن التقليدية في الكتابة والعرض، وعن الشكل والمضمون، وتسعى إلى تثبيت منهج درامي خاص يتجاوز القديم، ويترحّج الجديد. وإذا كان الفنان فاروق صبري قد وضع الخطوة الأولى على طريق التبشير بالعملية التعااقبية فإننا توازياً معه وضعنا الخطوة الأولى على صعيد التطبيق النصي الذي سيعقبه بالتأكيد اشتغاله عليه تعاقيباً على وفق منظوره الفلسفي، ورؤيته الفنية والفكرية. ومن الجدير الإشارة

هنا إلى وجود مشتركات عامة بين مؤلف النص التعاقبي وبين مخرجه. مشتركات فكرية تلغي الكثير من الحدود، وتقرّب الكثير من وجهات النظر وإن لم تلغ الاختلاف بينهما. وثبتت افتراضاتي في هذا المقال لا تعني بالضرورة الغاء ما افترضه الأستاذ فاروق صبري من أسس عامة لهذا المشروع مرتبطة بالعرض المسرحي. ثمة فارق بسيط يتجسد في نوعية الاشتغال على هذا المشروع. فالفنان فاروق صبري يشتغل على جانبه التطبيقي إخراجياً بينما اشتغل أنا على جانبه التطبيقي نصياً. هو يشتغل على الخشبة كمساحة للعرض بينما اشتغل أنا على الكتابة كمساحة للنص، وعليه فإن افتراضاتنا أخذت جانباً تخصصياً مشتملاً على جانبي العملية المسرحية تنظيراً وتطبيقاً منذ بدء الاعلان عن التعاقبية كمشروع ابتكاري متجاوز للتقليدية بحدود محسوبة ومحدودة فنحن لا نزعم أننا كسرنا حاجز التقليدية وهدمنا جدار التقليد بشكل تام بل أكدنا مراراً على أننا سعيينا من وراء هذا المشروع إلى تحقيق ذلك بكل ما نملك من قوة الابداع المتواضعة، وتركنا الباب مفتوحاً على مصراعيه لمن يأتي بعدنا فيضيف من عندياته لبنة جديدة، أو افتراضات جديدة، أو ابتكارات داعمة ومعززة لطبيعة المشروع التجديدية. ولا نريد الإطالة هنا بل نترك القارئ مع نصوصنا الثلاثة ليتحرى بنفسه عن جوهر العملية التعاقبية.

أسئلة الجلاد والضحية

مونودراما تعاقبية بجزئين

الجزء الأول: الجلاد

قبل العرض:

{ نشاهد نصف قبة خضراء مشيِّدة بدقة، ومزججة بقطع من الزجاج البراق. للقبة بوابة واحدة مشيِّدة على هيئة فكّين مفترسين تصطفّ الأنياب المدببة الطويلة عليهما ملطّخة بالدم.. البوابة مفتوحة طوال زمن العرض وأمامها عند منطقة وسط الوسط ثمة قضبان حديدية مشبكة ربطت الضحية عليها. مشبك القضبان يبدو كنافذة كبيرة هي والضحية ييدوان، لجمهور النظارة، كما لو أنهما داخل الفم المفترس، أو أن الفم أوشك على افتراسهما. أمام القضبان والضحية ثمة كرسي خشبي ملطّخ بالدم ومحاط بقطع وأدوات تعذيب مختلفة يجلس عليه الجلاد وظهره إلى الجمهور. على زجاج القبة تتمظهر، بين فينة وأخرى، مسوخ غريبة الأشكال والهيئات لها أفواه بأنياب حديدية طويلة تقطر دماً، ومخالب فولاذية اصطبغت بلون الدم، رؤيتها تبث الرعب، وتثير الاشمئزاز والخوف في نفوس جمهور النظارة. من جدار القبة تبرز بعض الشظايا المدببة الرؤوس على هيئة كتل معزول بعضها عن بعضه الآخر.

على جدار القبة الداخلي نرى شبح الجلاد وهو يسوط الضحية متلذذاً بعذابها وصراخها. يرفع الرجل الجالس على الكرسي الخشبي الملطخ بالدم يديه كإشارة لتوقف الشبح عن الحركة والانصراف إلى خارج المكان. يختفي شبح الجلاد والضحية.

دائرة من الإضاءة الرأسية تتركز على القضبان، والضحية، والرجل الجالس على الكرسي. ينهض الجالس من على كرسية.. يستدير نحو جمهور النظارة. يبدو الشبه بينه وبين ضحيته كبيراً جداً ولكنه بلباس مختلف مبالغ بأناقته وفخامته. يقترب من الضحية المعلقة بين الحياة والموت بخيط رفيع. يمسك شعرها الملطخ بالدم. يسحب رأسها، الذي يصعب التعرف على ملامحه، بسبب الدم، إلى الخلف. يتركه فيرتد الرأس إلى الأمام. يتناول أنبوب الماء المطاطي. يضع أحد طرفيه في ناب من أنياب الفكين المفترسين.. يلتقط الطرف الآخر من الأنبوب المطاطي ويوجهه إلى رأس الضحية. يندفع من الأنبوب رذاذ بلون الدم يمس وجه الضحية فتستيقظ ببطء لتبدأ مع استيقاظها مونودراما الجلاد{

الجلاد: (يرمي الأنبوب المطاطي قريبا من الكرسي ويوجه كلامه للضحية مباشرة) ما أغربك يا امرأة.. صرت لا تستيقظين إلا برذاذ الدم (يدور حولها) منذ آلاف السنين وأنت على هذا الحال.

(يستمر بالدوران وهو يلقي على الضحية السؤال تلو الآخر)

ألا يكفيك ما عانيته؟ ألم تشبعي من الألم بعد؟ أي شهوة عجيبة تسيطر على مشاعرك؟
(يتوقف برهة ثم يستمر بطرح الأسئلة والدوران. ومع كل سؤال تتسع دائرة دورانه)

ألست بشراً؟ لو كنت مكانك لتخليت عن الدنيا ومن فيها من أجل راحة ولو يوم واحد من حياتي. لماذا كلما تعذّبين أكثر تزدادين إصراراً وكتماناً؟ (يتوقف. يصرخ في وجهها) لماذا؟ ومن أجل من؟ (بصوت هادئ وببطء) قل لي من يستحقُّ منك كلَّ هذا العذاب؟ (صمت. يصرخ ثانية) أجيبي (لا تجيب) ألستِ بشراً ككلِّ البشر؟ (مستكيناً يبتعد عنها) حسناً.. أنت لست بشراً (يجلس على الكرسي) لنفترض هذا على الأقل، ونفترض أيضاً أنك صاحبة خلق ومبدأ. السؤال الآن هل أنت الوحيدة على وجه الأرض صاحبة خلق ومبدأ؟ وأين من سبقوك من أصحاب المبادئ والخلق؟ ألم يكن مصيرهم التراب؟ ماذا ستجنين من كونك ميتة مع وقف التنفيذ؟

(منبهاً) هيه.. أنت ميتة الآن. والميت لا يستمرئ طعم الحياة (ينهض. يقترب منها) صدقيني أنا أعرف منك بهذا (ينظر في عيني الضحية) لا تنظري اليّ وكأني من أولئك الذين عدّوك وما عرفوا لماذا سوى أنهم يفعلون ذلك حسب. (منسحباً بخبث) أنا أعدّبك وأعرف لماذا أعدّبك، لكن الذي لا أعرفه هو لماذا يتحمّم عليك أن تستمرئي وجبات الألم التي أجود بها عليك كلَّ يوم وليلة؟ ألا يجدر بك ان تدبري شؤون نفسك بدلا من انتظارك وجبات الألم اللاحقة؟

(يتوقف عن الكلام برهة ثم كمن سمع الضحية تتهمه
بالقسوة)

أنا قاس؟ هاهاهاهاهاه. نعم أنا كذلك ولن أكون غير
هذا. ألا ترين أن الجَلَدَ والرأفة هما مهنتي (يعيد النظر
للضحية) مستغربة من هذا؟! معك حق فأنا أرأف بحال
الجميع إلا أنتِ.

(فترة صمت. يدنو منها حتى يكاد وجههما يتلامسان)
ربما تسألين نفسك لماذا؟ على الرغم من كونك أقربهم
اليّ
(يتوقف على نحو مفاجئ غاضباً)

اسمعي. إن نظرت اليّ أم لم تنظري لن يغيّر نظرك رأبي،
ولن يؤثر على مشاعري، ولن يقلب الحال فتكونين
جلادي وأكون ضحيتك فالجلاد جلاد والضحية ضحية
منذ ابتداء الخلق. ألم يكن قاييل جلاد أخيه من أجل
شهوة عابرة؟ فما شهوتك أنت؟ أهي شهوة الألم؟ أم
شهوة الدم؟ (مفسراً) أنا لا أقصد أبداً استبدال شهوتينا
بعضها ببعض لأنني منذ قاييل نمت في داخلي شهوة
الدم. والمصيبة إنك لم تعرفي هذا ولن تعرفيه حتى
بلوغك شهوة النهاية.

قولي لي هل حقا أنكم تدعون أن الأسد هو مجموع

الخراف المهزومة؟ (لا تجيب. يتحرك بتباهٍ وافتخارٍ
طاوسيين وهو يجيب نفسه بنفسه)
أنا أسد هذه الغابة التي أطلقتكم عليها اسم الحياة وكان
الأحرى بكم أن تقولوا: إن الجلاد، وهو أنا، مجموع
الضحايا المهزومة
(يفاجئه صوتٌ ما يفز مرعوباً بطريقة تتناقض مع شجاعته
التي يدعيها فيتحدث بارتباك)

أنا لست جباناً كما تعرفين لكنني فوجئت بالصوت
فقط. أنا لا أتقبل المفاجئة ولا البقاء على ما أنا عليه. أما
أنت فتتقبلين كل شيء بأعصاب باردة (مغيراً الحديث)
أعني أنك ترتضين لنفسك أن تكوني واحدة من ضحاياي
كي التهمكم خفافاً وثقالاً؟
(يتركها متوجهاً إلى مقدمة المسرح لكنه يتوقف قليلاً
ويستدير إليها)

شخصياً لا أعرف لماذا سوى أن الحياة منحتني من
القوة ما يكفي لالتهامكم جميعاً! (يكمل السير إلى
مقدمة الخشبة) مرة قررت مع نفسي منحكم الحرية
التي تريدون (صمت ثم بتأكيد) منحتكم الحرية فعلاً.
وبدلاً من أن تخططوا للتخلص مني ساعدتموني على
قتل أنفسكم وابتلاعكم واحداً واحداً. قلة قليلة منكم

تخلّصت مني برضاي فاخترت المنفى أرضاً لها بدلا
مني. وحين سألتكم لماذا لم تغادروني؟ اجبتموني حباً
وكرامةً وفداءً. إن لم نفدك نحن فمن سيفتديك؟ أصابتنى
الدهشة منكم، ورحت أسأل نفسي لماذا؟ ماذا فعلت لهم
فتحوّلوا الى مخلوقات غريبة؟ أنا لم أطلب منهم هذا. بل
إنني لم أطلب أي شيء على الإطلاق.
(يترك الجمهور عائداً إلى الضحية)

كنتم... قبل أن أكون... لم يعجبكم الحال فقررتم أن
يكون لي وجود يشبع في نفوسكم شهوة العيش معي.
رسمتم لي شكلاً، ووضعتم لي وجهاً وملامح وحدود،
وارتضيتُ أن أكون مقبرتكم المقدسة. وهكذا فعل
أمثالكم في كلّ مكان وزمان فاتفقنا على التهامكن ما دام
في الأمر مسرّة غريبة لكنني فيما بعد ضجرت، ضجرتُ
منكم، ومن استمراركم العجيب على ما أنتم عليه. لم
أطلب شيئاً إلا ونفّذ لي، لم أأمر أحداً إلا ومثل بين
يديّ، لم أقرر لأحدكم موتاً إلا ومات بين يديّ، ومع
شهوتي التي لم تتوقف، وعطشي الذي لم ينته لإراقة الدم
وجدتكم تأتون اليّ صاغرين.
(يبتعد عنها بضع خطوات. يتوجه نحو جمهور النظارة
متذكراً)

عند أول انطلاقة لكم كنتم فرحين حدّ الموت. مبتهجين حدّ المرارة. وكنتم كلما أذيتكم كلما ازداد اصراركم على بلوغ الأهداف السامية (يضحك) هاهاهاهاها.. أهكذا تسمون الأهداف!.. سامية! يا لكم من حالمين بامتياز. هل تتذكرون يوم علقت ثلاثة رؤوس منكم بحبال الموت شنقاً؟ (تهبط من فضاء المسرح ثلاث دمي معلقات بحبال الشنق. يستعرضهن بوقار ثم يعود إلى جمهور النظارة)

حسنا.. لقد شنقتهم حتى الموت فهل كان موتهم انتصاراً لكم؟

(يكرر الالتفات بين الجمهور والضحية منتظراً أن يقول أحدهم شيئاً وإذ يستمرون في صمتهم ينفجر ضاحكاً بصوت منخفض يزداد تدريجياً حتى يتحول إلى قهقهة عالية. ترتفع المشانق أثناء ضحكته إلى الأعلى فتختفي في فضاء المسرح. يتوقف عن القهقهة بشكل مفاجئ. يغزر الضحية بنظرة قاسية)

لقد حوّلتُموني إلى أداة تلذذ بخوفكم، تبتكر طرقاً لتعذيبكم كي أستطيع النوم براحة واطمئنان حتى أُلّف بعضنا بعضه الآخر، وصرنا وجهين لعملة واحدة: الجلاذ والضحية.

(باعتراف شديد كمن يعترف لجمهور النظارة)

نعم أنا الجلاد (يشير إلى جمهور النظارة) وأنتم الضحية. لقد عرف كل منا دوره وقدره ولكنني سئمت (يتوقف قليلاً) سئمت كوني جلاداً. أما أنتم فلم يعرف السأم طريقه اليكم (بغضب) أي بشر أنتم؟! هاويل كان يعرف إنه سيموت على يدي أخيه الشقيق. ولكنه ذهب إلى الموت بقلب مطمئن وهو العارف أن موته سيحوّل شقيقه إلى جلاد (بانفعال) جلاد حقيقي.. جلاد من لحم ودم (يتوقف قليلاً ثم) لم يمعن النظر في هذا كثيراً لأنه كان قد شغل نفسه بوالديه أكثر من انشغاله بنفسه وهذا هو خطأه الكبير. لقد كانا عنده العالم والحياة التي يجب أن تستمر ناسياً أو متناسياً أنه هو من ينبغي له أن يستمر وأن ينجب ذرية من الخير تقارع الشر والظلم الذي خلفه لنا قابيل. كانت له شهوة مختلفة تماماً ومتناقضة مع شهوة أخيه. شهوة ارتضيتم أن تنقل جيناتها إليكم، أن تورث لكم. أما أنا فرفضت. رفضت بقوة لأنني لا أريد تفويض أمري للشقاء، والعذاب، والموت. وسأظل هكذا حتى قيام الساعة ولن أسمح بما يجعله علينا من الخوف والارتباك.

لقد عرفت كثيراً من الناس أغلبهم كان يقف على مبعدة منه. بعضهم ابتكر طرقاً تنسيه الموت ومطارداته وتبعد شبحة الرهيب. ومن هم مثلي كانوا يتطهرون منه به

(يلتفت إلى الضحية) وهذا هو بالضبط سبب بقائكم ضحايا، وسبب بقائي على ما أنا عليه. حسنا لقد ثرثرت أنا طويلا ولم تنبسي أنتِ بنت شفة (بسخرية) ولو نبستِ فمن المؤكد أنك ستتحولين إلى صفِّي. ولتعلمي أنني لا أريدك أن تتحولي إلى صفِّي على الاطلاق. فكما وجدنا سنظلّ ليزللّ العالم محتفظا بتوازنه على الدوام (يلتفت إلى جمهور النظارة)

لي الحياة والبقاء، ولكم الموت والزوال.. وهذا يمنحنا الاجابة الدقيقة لما نحن عليه الآن: أنتم بصمتكم القاتل، وأنا بثرثرتي العجيبة، ولكنني على الرغم من هذا (يلتفت إلى الضحية) أصرّ على أن تعترفي بما لديك.. أن تقولي كلمة تسعى بك إلى الخلاص من هول هذه العذابات التي لا أول لها ولا آخر (يقترّب منها) اسمعي ودعيني اعترف لك - وأنا غير مضطر على الاعتراف- إنني أهزأ من فلسفتكم، وزعمكم أنكم تناضلون من أجل الحياة الجميلة والسعيدة، ومن أجل فردوس الفقراء المفقود فالحياة لا حدود لسعادتها إن كنتم تجيدون صنع التفاهات. الحياة تافهة وهشة بما يكفي للهزء منها. أو لأقل هذا ما أريده منكم من أجل أن تمرّوا بها فرحين بما لديكم لكنكم دوما تختارون ما يجعلها صعبة، ومرة، وقاتلة.

كلكم أبنائي ولكنني لا أحب منكم من هو على شاكلتك. لستُ شريراً كما يظنّ بعضكم، أنتم خلقتم الشرف في نفوس ابنائي بادعائكم أنكم الأفضل والأرقى وعليّ تأديبكم بالطريقة التي أرى إنها ملائمة لحفظ ما ينبغي عليّ حفظه من الزوال (يدور حول الضحية) لقد آن الأوان كي تنطقي بالحقيقة كاملة فتقول لي من أنتم أيتها الصائمة عن الكلام.

(تتحرك بضعة أشياء على الجدار المزجج للقبّة ثم تصدر بعض الأصوات الموجهة إليه)

- نحن الذين ولدتنا كي نصغي لشررتك المضجرة.
- من أنتم ومن سمح لكم باقتحام المكان؟
- لم نفتحم المكان نحن فيه دوماً.
- (يبحث عن مصدر الصوت) أين. أين أنتم؟
- نحن فيك. بل أقرب إليك من جبل الوريد.
- (يضحك) هه هه هه هه هه هه هه هه هه هه. إذن. أنتم سراب الروح وبخارها الصاعد نحو الجلجلة. اغربوا عني فما لكم من مستقر بين ثكنات البقاء على قيدي.
- لن نبتعد.
- (صارخا بهم) ابتعدوا.
- لن نبتعد.
- (بصراخ أشد) ابتعدوا. ابتعدوا. ابتعدوا. ابتعدوا (يتوقف عن الصراخ، تتبدل ملامح وجهه)

من يتعد؟ ولماذا أصرخ بـ بـ بـ بماذا؟ أو بمن؟
(يلتفت إلى الضحية) هيه أنتِ هل سمعت شيئاً أو أحداً
ينادي عليّ أو.. أو (يتوقف برهة) لا لا اعتبرني أنني لم
أوجه لك سؤالاً (لنفسه على انفراد) هل صرت أتخيل
أصواتهم؟ ولكن من هم؟ ولماذا يوجهون الكلام اليّ
تحديداً؟ أعليّ ضمّهم إلى قائمة المعذبين على أرضي
أم على أرض الله الواسعة؟ لا فرق. العذاب هو العذاب
سواء في جحيمي أو في جحيم الله.
(يتوجه إلى جمهور النظارة)

يعتقد هؤلاء البؤساء أنني أريد لهم العذاب ارضاءً لشهوة
ما من شهواتي في تفريق بعضهم عن بعض متناسين أنهم
جميعاً من صلبي أنا، وإنني الأب القاسي، والحاضن
الرؤوم الذي لا يلين أو يتساهل أمام عقوقهم الغريب.
سمعت من قرين لي أن أبناءه أرادوا تشييد عالم جميل
يكون الكلّ فيه أخوة متساوين في الحقوق والواجبات
فضحكت ملء فمي. وعندما سألني لماذا انفجرتُ
ضحكاً قلت له: لأن لأبنائك شذوذ غريب. قال مردداً
بعدي ومنفعلاً "شذوذ غريب... شذوذ غريب" ماذا
تعني بقولك هذا؟ قلت الخروج على القاعدة، وكلّ
خروج عنها يعدّ شذوذاً. قال لم أفهم عن أي شذوذ
تحدث؟ قلت: قتل قابيل أخاه فشدّ عن قاعدة الله

فأورث الشذوذ لذريته إلى يوم القيامة. هل رأيت الخير
منتصراً يوماً ما؟ ربما حدث هذا ذات مرة ولكن الشر
كان ولم يزل منتصراً منذ قاييل وحتى يومنا هذا. لماذا؟
لأن لبنائه هي الأقوى والأشدّ في بناء الإنسان. صمت
قريني وكأنه يحاول استبطن ذاته بذاته ثم تركني مغادراً
تعقد لسائه الدهشة

(يلتفت إلى الضحية. يتحرك باتجاهها مشيراً إليها بسبابته)

أنتم لبنة من لبنات هايل ولهذا تستمرئون العذاب
والموت ببرود، ولا نصر لكم إلا بتخلص كل منكم
من هايله القابع في أعماقه السحيقة. هايل لم يقاوم،
لم يدافع عن نفسه، وارتضى للطيبة التي فيه أن تكون
قدره المميت ومنذ ذاك وأنا أحاول انتزاع الطيبة منكم
كي تكونوا أشداء على الظلم...

(يتوقف عن الكلام قليلاً)

هل رأيت كم أنا حنون على أبنائي الهالكين والصائمين
عن الكلام من أمثالك أيتها الميئة المدفونة داخل تابوت
الحياة؟ آ. دعيني اخبرك بما قاله لي قرين آخر زاعماً
أنني على خطأ كبير. قال: لقد انتصرت رسل الخير على
الدوام وأضاءت الكون بنور الحق والحقيقة فلماذا تدير
ظهرك لهذه الانتصارات؟ قلت له: معك حق في هذا

ولكن قل لي ماذا حدث بعد كل انتصار لهم؟ ألم يقتل الناس بعضهم بعضاً؟ ألم يتآمر بعضهم على بعض. أعني هل ترك الاشرار الأختيار لينعموا بانتصارات رسل الخير؟ ألم تشتد الفتنة بعد موت الرسول؟ ألم يتآمر الناس على من خلفوه في الحكم حتى أطاحوا بأربعتهم؟ يا ابنتي لقد صار الشرُّ سنةً مهيمنة على سنة الخير فاعظني على نفسك قليلاً وتخلصي مما أوحى به الشيطان إليك من عداوة نفسك لنفسك واتبعيني إلى حيث الحياة التي أريدها أنا لا الحياة التي تريدونها لي وأنتم الضعفاء (الضحية لا تنطق) اسمعي... للمرة الأخيرة أقولها ولا خيار لك بعدها. اعترفي لتالي رضاي وإلا سأنادي الجلاذ ليذيقك مرّ الهوان (يهم بالخروج. يتوقف في منتصف الطريق. يلتفت إلى الضحية) الآن سأخرج من تلك البوابة (يشير إلى البوابة التي دخل منها) فإن خرجت، وأغلقت الباب خلفي فاعلمي إن الجلاذ آت إليك وكله شهوة في التخلص منك ورميك على أقرب قمامة في المدينة.

(يتوجه نحو البوابة. يقف عند مدخلها. يلتفت إلى الضحية منتظراً ردة فعلها، وإذ لا يرى ردة فعل منها يتسهم بخبث ثم يخرج من فم البوابة ذات الأنياب الحديدية. يدخل شبح الجلاذ ويبدأ بتعذيب الضحية كما في بداية المسرحية. تشتد مقاومة الضحية أكثر وأكثر،

ويشتدّ الجلاّد قوة في الضرب والتعذيب بهستيريا رهيبية حتى تفقد المعذبّة وعيها ثانية، ويتحوّل لون القبّة إلى لون الدم ويعلن الظلام التدريجي انتهاء مونودراما الجلاّد لتبدأ منه مونودراما الضحيّة).

(انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني)

الجزء الثاني: الضحية

قبل العرض:

{ نشاهد المنظر السابق نفسه على خشبة المسرح: القبة الخضراء، والكرسي، وأدوات التعذيب. ينقش الظلام تدريجياً فنرى المعذبة وهي تستعيد وعيها ثانية. تنهض. تتخلص من القضبان. تتحرك بضع خطوات نحو مقدمة المسرح. تبدو للنظارة كما لو أنها الجلاد نفسه ولكن بملابس الضحية}

الضحية: لقد خرج من بوابة الدم تلك (تشير إلى الفم المفترس) ولن يعود إلا وأنا جثة متعفنة وممزقة بأنياب الدم. ثمة كثيرون قبلي واجهوا المصير نفسه، ورحلوا مخلفين وراءهم تاريخاً من الدم والانتظار وكأن الانتظار والدم قدرنا المحتوم على مرّ العصور. جلّ ذنبهم إنهم اختاروا الحياة الحرة فكوفئوا بالموت أو بالرحيل بعيداً وهم المتيمون بسحر الأرض وترابها.

منذ فجر السلالات وربما قبل السلالات بكثير وقعوا ضحايا محبتهم العميقة الراسخة، ومنذ ذاك وهو يحترف تعذيبهم.

(تصمت ثم تبدأ بطرح سبل من الأسئلة)

هل تظنون أنه جلاد فعلاً؟ وهل سألتهم أنفسكم، ولو

مرة واحدة، لماذا يشعر أننا جميعاً خرجنا من صلبه؟ وهل هو الأب الذي يعود نسلنا إليه؟ ربما تكونون قد سألتم أنفسكم، وربما بحثتم عن الإجابة أو قررتم الوصول إليها، ولكن قبل هذا وذاك دعوني أقول لكم: برهنوا على الحقيقة بالشكّ فالشكّ طريق اليقين، ولا تصدّقوا ما قاله عني وعن شهوتي للآلام والعذاب فما قاله لا يشكّل إلا نصف الحقيقة، أما نصفها الآخر فطالما تجاهله بقصد أو دون قصد. أنا أحب الحياة ولا أرغب أن يكون الموت صنواً لها على الرغم من أنني أدرك تماماً إنهما صنوان ينبغي أن لا أكره أحدهما لكنني مع ذلك كرهت الموت، كرهته بكل ما أملك من قوة الكراهية ربما لكثرة ما شاهدته من الموتى على الطرقات، أو في ردهات المشافي، أو في سيارات نقل الموتى أو في البيوت أو على شاشات التلفاز، أو... أو... (تتوقف فجأة وكأنها تتذكّر شيئاً. تتحرك ساهمة الوجه، بطيئة الخطى، شاردة الذهن ثم تفزّ بقوة إثر انفجار مدوّ رهيب طارحة جسدها على الأرض بخفة وسرعة. تتكلم وهي لا تزال منبطحه على الأرض)

كان هذا آخر انفجار تعرضت له في ساعات النهار الأخيرة. لم أعرف في أية ساعة بالضبط وكلّ ما أعرفه أو، أو أتذكره هو إنني وجدت نفسي غارقة في بركة

دم. كنت مدفونة تحت شظايا اللحم والعظام ومغطاة برؤوس، وأرجل، وايدي مقطعة، أو غير مقطعة.
(تزيح عنها الشظايا، والعظام، وما تراكم على جسدها من الأعضاء البشرية المقطعة)

كانت امرأة جبلى ترقد هناك (تشير إلى المكان) وقد اندلقت أحشاؤها وهي تمسك بها لتمنع جنينها من السقوط. أدركت أنها على وشك الموت، وعلى الرغم من آلامها القاتلة كانت توجل موتها ريثما يأتي أحد ليستقبل وليدها وما من أحد جاء في تلك اللحظات العصيبة. نظرت اليّ بتوسل واستعطاف. حاولت الاقتراب منها. قلت لها: تشجعي أنا قادمة اليك، لا تضيقى الخناق على الجنين باعدي بين ساقيك أكثر إن استطعت. تحملي الألم قليلاً من أجله. وإذ وصلت زحفاً إليها، ومسكتُ رأسَ وليدها خطفت من أمامنا سيارتهم مسرعة فمطرتنا بوابل من الرصاص الذي أخترق أجسادنا محوِّلاً إيَّاهما إلى جثث هامة مزرجة بالدم.

(نسمع صوت الإطلاقات، ونرى ارتجاف الأضواء، وردود أفعالها القوية. تصاب بطلق ناري. تضع يدها على موضع الجرح وتنهض مستعينة بيدها الأخرى)

لقد أصبت بإطلاقه واحدة لم تكن، من حسن حظي قاتلة بما يكفي لأعانق أرواح القتلى في محتهم الكارثية.

ماتت المرأة، وغرق جنينها ببركة الدم قبل أن يغادر ظلام الرحم إلى الولادة حيث نور الحياة، ودفء الشمس. من الرحم الى اللحد. يا للبراءة المتهكّة. مات الوليد. مات الجميع برصاصهم العشوائي، وكنت الوحيدة التي نجت، ومع ذلك لم أشعر بالسعادة لنجاتي فأنا أعرف أنهم سيعودون ثانية، وثالثة، ورابعة ليجهزوا على من تبقى منّا على قيد الحياة. ربما تعود هذه الفئة نفسها وربما غيرها من الفئات التي تمارس القتل ضدنا تحت مسميات عديدة كالقاعديين، والداعشيين، والطائفيين، والكواتميين، والمأجورين، والمليشياويين، والحكوميين المحترفين و. و... إلخ...

(تتوقف عن الكلام ثم تستطرد ثانية)

على أية حال لم يستطع هؤلاء جميعاً ثنبي عما أردت الوصول إليه إلا هو، فكلمّا شارفت على مسك الهدف، يأتي ليحرمني من شهوة الوصول ظناً منه أنني أحدث شرخاً هائلاً في التوازن بين الحياة والموت، أو كما يدعي بين الجلال والضحية...

(تتوقف. تسمع صوتاً قادماً من خارج المكان. تقترب من الفم المفترس. تنصت قليلاً. تسمع صوت صراخ واستغاثة)

لقد جاءوا بوجبة جديدة أخرى ستعجل حتماً بانتهائه مني
سريعاً

(إلى جمهور النظارة)

على فكرة، إنه محق في ما قال عن وجوده المرتبط
بوجودي فأنا من منحه اسماً، وصفة، وحدوداً، وهوية،
وقداسة لا يعلى عليها، ومهما غضبتُ أو انفعلتُ لا
أستطيع منعه من أن يمارس ضدي كل أساليبه في العقاب
والثواب سواء أكان ذلك العقاب فردياً أم جماعياً
(يحدث بعض اللغط في القاعة أو نسمعه من جهاز
التسجيل. تتحرك هنا وهناك في محاولة لإيقاف اللغط)

رجاءً.. رجاءً لا تأخذكم بي الظنون فأنا لست ممن
يستمرئون العذاب، أو يتلذذون به فيطفئ فيهم شهواتهم
العجيبة والغريبة. أنا مثلكم تماماً وما يميّزني فقط هو
عنادي وإصراري على بناء حياة جديدة لا تتحكّم فيها
الأيدي المملخة بدم الأبرياء

(يستمر اللغط.. تحاول السيطرة على الضوضاء)

حسنا حسنا سأسمي الأشياء بأسمائها إن كان هذا يتوافق
مع ما تريدون ولكن كونوا على ثقة إنه ليس إرهابياً،
وليس ممن يَلْعُ دماء الأبرياء، وما هو بالحامل لفيروس
الإرهاب السياسي، أو الديني، أو الطائفي، أو ما ملكت
أيديهم من الفيروسات المختلفة. إنه الأقرب إلينا،

والأكثر رافة بنا، ولا يغرنكم حديثه عن تعذيبه لي لأنه لم يفعل ذلك أبداً.. فهو في خاتمة الأمر سترك لي حرية الرقاد الأبدي بين جوانبه الرؤوم

(يشتم الاعتراض والاستهجان) صدقوني (لا يصغون إليها فترفع صوتها عالياً) صدقوني أنا لا أدافع عنه أبداً... (يتوقف الضجيج) فقط أردت أن أصل بكم إلى الحقيقة: حقيقته هو، وحقيقتي أنا، وحقيقتكم أنتم، ولكم أن تشكوا بهذه أو تلك من الحقائق فالشك كما قلت لكم طريق اليقين، واعلموا، إنني لست الوحيدة التي تعاني من قسوته وحبه الرهييبين، ثمة أناس هناك

(يقاطعها سائل افتراضي يسألها فتكرر بعده)

أين؟ حسناً إنهم في الغربية. هناك في البلدان البعيدة جداً ينامون على جمر العودة، ويصحون على نار الحنين. وحين يموتون يتمنون أن يدفنوا قريباً منه، من الرحم الذي خرجوا منه ذات ولادة. هل تساءلتم لماذا يرومون ذلك؟ ولماذا يتعذبون من أجله؟ (صمت) لأن جذورهم ممتدة هنا في أعماقه. أعني في أعماق هذه الأرض التي أقف الآن عليها (تشير إلى الأرض) دعوني أروي لكم هذه الحكاية.

(تهم بالحكي لكنها تتوقف. تنظر إلى الكرسي وأدوات التعذيب)

عفوًا.. عليّ التخلص من هذه المخلفات البغيضة أولاً
(تحمل الكرسِيّ وتقدفه في الفم المفترس)
لسنا بحاجة لك في هذا المكان بعد
(تلتقط أدوات التعذيب. تقدفها في الفم المفترس أيضاً)
إلى الجحيم أيتها الأدوات الفاشية المميتة (تعود إلى
وضعها الأول) حسناً يمكنني الآن البدء من أول الحكاية:

(تقلد شخصية الحكواتي)

يروى في أساطير بلاد ما بين النهرين، يا سادة يا كرام، أن
الآلهة العظام شعرت بالوحدة القاتلة، وبلا جدوى البقاء
دون كائن يشبهها، أو يختلف عنها ليبدد وحشتها، ويرعى
شؤونها السماوية على الأرض الواسعة الشاسعة فقررت
بعد أخذ ورد، وكلام مسهب خلق كائن جديد من تراب
الأرض ومائها فأوكلت مهمة الخلق لكبيرها فأخذ حفنة
من تراب الأرض. خلطها بقطرات من مائها وإذ صار
المزيج ليّنا مضغه مضغاً، وحين قذف المضغ خارج فمه
ولد منها الإنسان. وهكذا ارتبطت مشاعره بالأرض التي
انتقلت جيناتها إليه حاملة طاقة الماء وجبروت التراب.
اعتقدت الآلهة أول الأمر ان المخلوقات الجديدة ستعمل
على خدمتها حسب، لكنها ما إن ترعرعت حتى باتت
تفكر ليل نهار في استخدام قوة الآلهة، ونفوذها، وهيمتها
في بسط وتسخير كلّ شيء يتحرك على وجه البسيطة،

باسم الآلهة، لمصالحها الخاصة. وهكذا أعلن الملوك، بعد أن سحبوا بساط السلطة من تحت أقدام الكهّان تماماً، إنهم ظلّ الله على الأرض، وتركوا للكهّان مهمة منحهم التوكيل المقدس لتمثيل السلطة الإلهية عليها. لم أرد أن أدوّنكم بهذه الحكاية العجيبة والغريبة، و فقط أردت منها التأكيد على ارتباط الانسان بتراب أرضه ومنبته الأول.

أنا أعرف أنكم تستغربون سلوكي، وتستهجنون تقبلي لكلّ ما أنزله عليّ من صنوف العذاب، وما صبّه على رأسي من السعير، وتنفرون من كلامي هذا لأنني لم أظهر له روح العداة والكراهية كرد فعل طبيعيّ لما اقترفه ضدي. هل يمكن للابنة أن تكره أباهها؟ أن تنزله من نفسها منزلة العدو اللدود؟ أعرف أنه جلادي الوحيد الذي لن أتخلى عنه ما حييت مهما بالغ في تعذيبي وأذيتي. لست مازوكية كما يظنّ بعضكم فيطيب لي الألم على يديه، وما هو بالجلاد الذي يعبث بنا ما شاء له العبث أو الضحك على معذبيه كما يفعل الآخرون. تصوروا أن أخي الذي وقع في أسر بعض الجرذان السود أجلسوه مقابل رفيق له ثم أمروهما أن يصفع بعضهم بعضه الآخر وهو يقذف بوجهه كلمة مرتد فإن لم يصفع أو يصفع بقوة فانهم يركلونه ركلاً مبرحاً كي يجبر على الصفع

بقوة. كان يتأذى أشدّ الأذى ليس بسبب ما يتلقاه من صفعات رفيقه ولكن من ثقل الشعور بالمهانة، وانتهاك حرمة الانسانية فيهما معا، بينما كان الجرذان يضحكون ويتندرون ويشتمونهما بأقذر الشتائم. وحين يملّون اللعبة فانهم يضاعفون العدد حتى يتناغم إيقاع الصفعات على وجوه الأسرى.

أنا أعذبُّ وأعرف لماذا أعذبُّ مثلما يعرف المكوي بنار العشق أنه يكتوي بها على الدوام، فأنا أعمل جاهدة بلا كلل أو ملل على أن أجعل حياته على غير ما اختاروه لنفسه المرتبكة المضطربة، أو خلافاً لما أرادوا له أو خططوا لإيقاعه في مستنقع التخلف التتن العجيب. (تصدر بعض الأصوات من مكان بعيد جداً وكأنها قادمة من أعماق الكون. تنصت قليلاً. تضع رأسها داخل الفم المفترس. تلتفت يميناً وشمالاً. تصرخ بقوة وهي تتراجع مقذوفة إلى الوراء وساقطة على الأرض وكأن قوة خرافية رفستها بقوة هائلة. تنهض. يخيّل لها وجود شبح أو قوة خفية تتابع خطواتها. تتراجع أمامها. أصوات مبهمه تداهمها لا تميّز فيها غير الشّخب والأنين وكأنها قادمة من أعماق التاريخ)

توقفي أيتها الأصوات الذبيحة فعشرات القتلى تنتظر على

أبواب الغياب. لم يشيع قابيل بعد من لحم أخيه. لا يزال
كما كان في جوع شره للحم البشر. توقفي واصغي
لصوت المعذنين على الأرض.

(تصغي للأنين القادم كهمهمة كورالية كنسيّة أحيانا
وترتيليّة أحيانا أخرى ثم تغني أو تردد أغنية حزينة
تنويمة فتبدأ الأصوات الترتيليّة بالخفوت تدريجياً. تنفجر
في نهاية الأغنية باكية ثم تتوقف)

لم أبك على نفسي وحالي. بكيت على من يصطفون في
طواير الموت خفاً وثقالاً، وعلى الثكالي والجاثمين
تحت مخالب الموت الهمجي. لقد قُتِلَ هاويل فألقيتم
باللوم عليّ. على المرأة التي هام بها قابيل حباً واشتهاءً
فقرر امتلاكها مهما كانت النتائج.

أمام رغبة الامتلاك الرعناء تفقد المحرّمات قدرتها الرادعة
وهذا هو سبب القتل بالضبط. السبب الذي لا علاقة لي
به من قريب أو بعيد حتى تلقون عليّ لومكم يا ناس.
لم تفهموا، ولم يفهم هذا الذي يسمّي نفسه جلاداً إنني
أرفض أن تتحول حياة هؤلاء البشر إلى جحيم أبدي، إلى
جلاد وضحية، وإلى قاتل وقتيل كما أرفض فكرة تنفيه
الحياة وتسطيحها كما يريد هو بسذاجة وطيبة مفرطة.

(توجه كلامها للجمهور مباشرة)

بربكم... ألا يستحقّ هؤلاء المعذبون أن نضحّي بكلّ
غال وثمانين من أجلهم؟ ألا يستحقّون منا أن نتحمّل
الكثير مما تحملناه من أجلهم؟ وهذه الأصوات القادمة
من عمق التاريخ بأنيها وشجنها ألا تستحقّ منا هدهدتها
لتنام بهدوء على الأقل؟ رأيتم؟ إنني لم أستمرئ
العذاب، ولم اطفئ به شهوة من شهوات حياتنا الآيلة
إلى الزوال؟ سيأتي إليّ عما قريب، وسيديقني من عذاباته
الكثير الكثير، وسيحمّلكم من الآلام ما لا تقدر الجبال
على حمله ومع ذلك ستظلّون على قيد محبته الراسخة،
وحتى يحين ذلك الوقت
(تذهب إلى الفم المفترس)
سنغلق هذا الفم اللعين
(تغلقه بقوة فتطفأ الأضواء).

انتهت

مسرحية القاصّ والقناص

مونودراما تعاقبية بجزئين ×

الجزء الأول: القاص

قبل العرض:

{ نشاهد غرفة متواضعة في شقة كاتب قصصي تجاوز الخمسين من العمر. تغطي جدارها الخلفي خزانة كتب، ومصادر، ومراجع عديدة. إلى الأعلى قليلاً نرى شاشة (سكرين) كبيرة بعض الشيء على شكل نافذة أو شاشة موضوعة داخل إطار نافذة يمكننا من قراءة إيميلات الكاتب، وبعض الصور الإيضاحية، والفيديوهات التي يقوم باختيارها من الشبكة العنكبوتية، ويستعين بها في إلقاء المحاضرات داخل صفه الجامعي أو لمعرفة ما يدور خارج شقته. نافذة موازية للشاشة تطلّ على الشارع المجاور. ثمة أكثر من لوحتين زيتيتين تزين جدران المكان، وبعض الرسوم التخطيطية لأغلفة مجاميعه القصصية. في منطقة وسط الوسط نرى منضدته وعليها جهاز لاب توب، وآي باد وبعض الأوراق البيض، وأدوات الكتابة، وجهاز هاتف نقال وموبايل. ثمة قطع ديكور وضعت هنا وهناك بعناية تامة. دائرة من الضوء تسلط على مكتبه فيظهر مرتدياً لباساً من تلك التي يرتديها الرياضيون عادة وهو يضرب على (الكيورد) فتظهر كتابته على الشاشة الكبيرة. نسمع صوت انفجار هائل يهزّ أرجاء الشقة كلّها، ونرى بريقاً متكرراً من خلاله نراه وهو يتعثّر في المكان بحثاً عن شيء ما. }

القاص: (من خلال الظلام)

اللّعة كيف الوصول إلى رفّ الشموع وقد غرقنا في بحر
من الظلمات! ظلام دامس لا قرار له داخل ظلام أشدّ
حلكة منه، وأكثر اسوداداً.

(نسمع من خلال الظلام صوت ارتطام)

اللّعة لا استطيع المضيّ في طريقي دون أن أتعثّر
بقطع الديكور العديدة التي وضعتها زوجتي هنا وهناك.
(يوقد عود ثقاب. يجد الشموع فيوقد بعضها ثم إلى
جمهور النظارة)

عذراً سنستمر بضع دقائق هكذا ريثما يعاد تصليح التيار
الكهربائي، أو إعادة فتحه حسب. فليس بالضرورة أن
يكون معطّلاً بسبب الانفجار فغالبا ما يمنح شرف
الإطفاء من زمرة تريد له ذلك.. أحيانا تأخذ العملية
ساعات وساعات فلم يعد التقنيون يابهون كثيراً لإعادة
النور لحياتنا كما كانوا قبل الخراب والدمار. ولأنني
أجهل تماماً متى سيعود التيار الكهربائي لذا سأستخدم
ما تبقى من شحن في اللابتوب لأواصل الكتابة
(يشرع في الكتابة. نقرأ ما يكتبه على الشاشة الكبيرة)

صديقي العزيز. ما زلت أجلس وحيداً وسط الظلام
الحالك، والانفجارات، وأزيز الرصاص...

(يتوقف عن الكتابة ثم إلى جمهور النظارة كما لو أنه

يواصل الحديث معهم)

هل تعتقدون أن صديقي (يشير إلى اللابتوب) سيصدق هذا؟ (مستدركا) لا أعني أنه سيكذبي، أو يلغي المصادقية بيننا، ولكن أظنّ الذي يمرّ بنا شيء غير قابل للتصديق. هل تتفنون معي؟ (صمت) من الطبيعي جدا أنكم تتفنون معي فيها أنتم الآن تجلسون في هذا المكان الذي أجلس فيه وسط هذا الظلام الرهيب (مستدركا) عفواً. أنا لا أعني الظلام الفني الذي يريده مخرج المسرحية بل الظلام الذي يريده المغرضون. ألا تتفنون معي أن صديقي سيهمس لنفسه متهما إيانا بالتخلف التقني؟

إنه معذور في همسه هذا، فالعالم الآن يتباهى بعدم انقطاع التيار الكهربائي دقيقة واحدة على مدى أعوام طويلة. حسنا لم لا نتباهى نحن بانقطاع التيار الكهربائي أطول وقت ممكن في التاريخ لندخل في موسوعة غينيس (Guinness Book) للأرقام القياسية؟ فكرة. هذه مجرد فكرة (يعود لللابتوب ويبدأ الكتابة). نقرأ ما يكتب من على الشاشة مع صوت الموسيقى)

حاولت اكمال قصتي الأخيرة (داخل البيت) لكن اختطاف ابني الوحيد جعلني أتوقف عن...

عليّ أن اذكر له أسباب الاختطاف وإلا كيف سيصدق!
(لنفسه بانكسار) لكنني شخصياً لا أعرف سبباً واحداً
لاختطافه.

(يلتفت إلى جمهور النظارة)

لقد أخبر زوجتي شخص مجهول عن مكان احتجازه من
قبل جهة أمنية فهل ثمة من يصدق كلاماً كهذا في الظرف
الذي لا نزال نعيش على قيده؟ على أية حال لم تستطع
زوجتي الانتظار معي لتبيّن حقيقة كونه محتجزاً أو
مخطوفاً، ومن فورها سافرت إلى حيث المكان المزعوم
على أمل العثور عليه، أو استعطاف الجهة الأمنية لتطلق
سراحه، مقابل ثمن طبعاً، فهو بعد أخذ كلّ شيء بنظر
الاعتبار ليس سياسياً، أو حزبياً، أو طائفيّاً، أو مشعلاً
للحرائق والفتن. إنه مجرد طالب علم في المرحلة النهائية
من الجامعة. أنتم لا تستطيعون أن تتصوروا خطورة الطريق
الذي سلكته زوجتي فثمة نقاط سيطرة وهمية للابتزاز،
وأخرى للاغتصاب، وثالثة للذبح، ورابعة لإدامة النعرات
الطائفية والقتل على الهوية فإن سلمت من الأولى فأنها
تسقط تحت رحمة الثانية التي لا رحمة في قلبها.
أصدقكم القول: إنني يائس من عودتها سالمة فتلك
(السيطرات) لا يمكن حتى للشيطان أن يفلت منها (يرن
منبه الهاتف النقال فيلتقطه بسرعة ولهفة) آلو... ها؟ هل

وصلت سالمة؟ هل... هل (بصمت ثم بهدوء) حمدا
لله على سلامتك يا حبيبي... لقد كدت أجنّ من شدّة
التفكير بك وبالمصير الذي ينتظرني على طريق المخاطر
المهلكة (بصمت) حسنا حسنا يا حبيبي... سأفعل...
إلى اللقاء (يقفل الخط، ويشرع بالضرب على الكيبورد..
محاوولا اكمال الرسالة)

... عن .. عن ...

(يحاول التذكر) عن ماذا؟ اللعنة على ذاكرتي المضطربة
والمشوشة (يتذكر) آ.. (يكتب)
عن الكتابة اليك. فالوقت هنا لا يتوانى عن استخدام سيفه
البتار. وعليك أن تباغته قبل أن يمتدّ نصله ويحز رقبتك
كما يحز رأس الخروف هكذا (يشير لطريقة الذبح) وكأن
شيئا لم يكن.

(يترك الضرب على الكيبورد ويتوجه بكلامه لجمهور
النظارة)

قبل ثلاثة أيام اقتحم مسلحون بيتاً في الحيّ المجاور
لحيّنا ألقوا القبض على رجل في الخمسين من العمر.
ألبسوه رداءً خاصاً لا يسمح بحركة أي طرف من أطرافه
الأربع. جعلوه يبرك على الأرض راضخاً. قرأ أحدهم

بيان إدانة للرجل فتقدم آخر وكانوا يسمونه الذَّبَّاح. حَزَّ رَقبة الرجل من الوريد إلى الوريد تحت مرأى أطفاله وزوجته ثم فصل الرأس عن الجسد ووضعهُ على صدر الضحِيَّة. قال وهو يمسح الدم من على سيفه البتار: الحمد لله الذي مكنتنا من القضاء على كافر آخر. لم تستطع الزوجة السكوت لتنجو. استشاطت غضباً وجنوناً. هجمت على الذَّبَّاح كنمر جريح وبأظافرها خدَّشت وجهه فتلطخت لحيته الكثة الشعثاء بالدم ثم سقطت منهارة على الأرض. قهقه الذَّبَّاح الذي ظلَّ في مكانه واقفاً لا يريم ثم قهقه المسلحون وهم يرون الدماء تسيل ملطخة لحيته. قال أحدهم: هل نأخذها معنا؟ قال الآخر: ولم لا وهي تمتلك جسداً نافعاً. وقال آخر وهو يشير إلى الأطفال: وماذا نفعل بهذه القطط. قال الذَّبَّاح لن أتركها وحيدة بلا أب. سألحقها بأبيها.

(يعود للكتابة مرة أخرى)

يا صديقي صار كلُّ شيء هنا بائراً فالبضائع كاسدة، والليرة بلغت أدنى قيمها، والبشر تحولوا إلى أصغر رأسمال. وحدها تجارة الخطف ازدهرت حتى غمرت السوق المحلية من أقصاها إلى أقصاها...

(يقاطعه رنين جرس النقال فيرفع السماعة)

آلو... آلو (بلهفة) نعم يا حبيتي... شكرا لله أنك على اتصال مستمر معي هل حصلت على شيء بصدد ابنتنا؟
(يصمت ثم بفرح كبير)
عظيم... رائع جداً... حمداً لله أن مغامرتك تكللت بالنجاح (تنقلب ملامح وجهه إلى ملامح حزن ودهشة)
ماذا؟... كم؟ \$ 15000 هذا مبلغ ضخم جداً... حسناً...
حسناً... لا تبك... لا تبك يا حبيتي... لا بأس... سأصرف... حظاً موفقاً.

(يغلق الخط ثم لنفسه بذهول)
من أين لي أن أدبر مبلغاً يعدّ بالنسبة لأستاذ جامعي مثلي ثروة طائلة؟ (مفكراً) كل ما ادّخرت طوال سني خدمتي في الكلية عشرة آلاف دولار فقط. يعني عليّ أن اقترض خمسة آلاف دولار من أجل سلامة ولدي الوحيد...

(يتوقف متأملاً)
ترى هل وضعوك في زنانة انفرادية تضيق عليك الشعور بالوحدة القاتلة؟ أنا مثلك أيضاً أعيش في وحدة قاتلة بين جدران هذا البيت الشبيه بزنانة انفرادية.
(يشير إلى المكان الذي هو فيه)
أحيانا أحدث نفسي، أو أحدث الجدار، أو أهمس لأي شيء موجود حولي كي أبدد وحدتي.

(إلى الجمهور)

ماذا تفعلون أنتم في الظلام؟ هل تتحدثون لأوهامكم مثلي؟ أم تكتفون بالدعاء لعودة الكهرباء سالمة معافاة من دائها الذي صار مزمننا؟

(يسمع صوتاً قادمًا من جمهور النظارة. يضع يده على أذنه متصنعا السماع)

نعم... سأدفع المبلغ بالتأكيد ولكن كيف وأين ومتى وهل سيطلقون سراحه فعلا؟ حقيقة أنا في ريبة من هذا كله. (ينظر لساعته اليدوية)

عفوا لقد حان موعد الدرس، وعليّ أن ألقى محاضرتي (يتحرك نحو شاشة السكرين. يمسك بعضا التأشير. يخاطب الجمهور وكأنهم طلبته وتكون الاضاءة ساطعة في أرجاء المسرح)

لم أتوقع حضور هذا العدد منكم ومغامرتكم بالمجيء إلى هنا تحت وابل القصف، والرصاص، والقنص العشوائي. ربما لا أحد يصدق رغبتكم الملحة في طلب العلم وأنتم تمرّون بظرف قاهر مانع رادع كهذا. (يرتج المبنى ارتجاجاً هائلاً اثر انفجار هائل فيرمي الأستاذ نفسه على الأرض. ينقطع التيار الكهربائي وبعد برهة ينهض)

أرأيتم؟.. إنهم لا يريدون منكم البقاء في قاعة الدرس

فليس ما يهمهم هو طلب العلم بل طلب الجهاد بأنواع، وأشكال، وأحاييل مختلفة (متسائلاً) أليسوا هم من نادى بما أطلقوا عليه جهاد النكاح؟ ترى من سيطلبون غير النساء إذا لم تستجب النساء لهذا النداء؟ ها؟

(ينظر إلى الجمهور باحثاً عن من يجيب)

يبدو أنكم غير مصدقين أن ثمة جهاد للنكاح. أنا مثلكم لم أصدّق أول الأمر ولكن بعد أن رأيت الوثائق وتبصّرت في الوقائع صدّقت كلّ ما قيل عن هذا النوع من الجهاد المشؤوم. دعوني أريكم هذا الفيديو.

(يذهب إلى الكمبيوتر ويضرب على الكيبورد فنشاهد على شاشة السكرين أباً وأماً، في لقطات موثقة على الفيس بوك، وهما يناشدان الجهات كلّها من أجل عودة ابنتهم الصغيرة التي غرروا بها لممارسة جهاد النكاح الميمون. الفيديو بلا صوت)

ولمن لم يكتف منكم بنداء هذين الأبوين سأعرض له اعتراف سيدة اقتحموا بيتها واجبروها على الجهاد في سبيل الله والوطن، وبعد مضاجعتها عشرات المرات. استسلمت للأمر الواقع.. ولكن حين أخبرها أحدهم أنهم سيمارسون معها في الغد ممارسة جماعية تذرّعت بمرضها ليمهلوها وقتاً كافياً للاستعداد ففعلوا مؤلمين أنفسهم بلذة فريدة وعجيبة. خلال تلك الفترة القصيرة استعدّت للهرب. قتلت الحارس وفرت بعيداً عن أيديهم

القذرة (يتوقف قليلاً) كثيراً ما سألت نفسي وأنا أقرأ قصص الحروب لماذا تغتصب النساء فيها؟ أمن أجل إذلال العدو؟ أم من أجل الإعلان عن الفحولة؟ أم هي ردة فعل للكبت، والحرمان، والشبق، والمجون والجنون؟

(يعود إلى الضرب على الكيبورد. نرى ونقرأ ما يكتب) يا صديقي كان لكل شيء ثمنه. حتى للدعارة ثمنها ولكن الداعرين ملّوا دفع الأثمان فرّجوا لدعارة الاغتصاب بلا ثمن. وأشدّ ما يرهقني الآن ويشعرنني بالخوف المروع أن تغتصب زوجتي التي لم تبال بشيء من اجل الوصول إلى ابنتنا الوحيد. أو ان يفرضوا عليها عنوة ذلك الجهاد المخدش للحياء...

(يعود لنفسه)

أنا أشك بعودتها من الجحيم الذي زجّت نفسها فيه صاغرة. قد لا تعود إليّ ثانية لتبدد وحدتي، وحدتها، وحدتنا أمام ضمائرنا، وأمام هذا الخراب الذي يسري في الأرواح كسريان النار في الهشيم.

(إلى الجمهور متذكراً)

ها... نسيت أن اخبركم أنني بعد انتهاء المحاضرة ذهبت لاستلام راتبي الشهري. كان ذلك عند الساعة الثانية عشر

ظهراً. ثم انصرفت في الواحدة تماماً. وكعادتي خرجت من ممر في حديقة الحرم الجامعي طالما اعتقدت أنه آمن تماماً. مرّت من جانبي أرملة متقدمة في السن. كانت تروم استلام راتب زوجها التقاعدي. ترنّحت قليلاً. مسّ كتفها كتفي ثم سقطت مغشياً عليها. اعتقدت أن نوبة أو جلطة داهمتها على نحو مفاجئ ولكن سرعان تكشف لي أنها سقطت ضحية مزحة سمجة من قناص تحت التدريب. تابعت طريقي ووصلت لباب كلية الطب فرأيت ضحية أخرى، ربما للقناص نفسه، وبركة دم قطرها أكثر من متر مربع فتبيّن لي أن الممر لم يكن آمناً كما اعتقدت، وعند بلوغي الشارع الرئيس كانت ثمة معركة طاحنة.

(تعرض الصور الوثائقية على شاشة السكرين. نسمع صوت الرصاص وتكبير طرفي النزاع وكأن الصوت اختلط بصداه يشتد أوار المعركة بين الجيشين يتداخل كل جيش بالآخر حتى لم يعد ممكناً التمييز بينهما، ثم تعقب ذلك كله قصف بالمدافع والأسلحة الثقيلة. يسقط القاص على الرصيف ويتوقف الفيلم. بقعة ضوء دائرية تركّز عليه)

ركضت بكلّ ما أملك من قوة حتى كاد نفسي ينقطع. رميت نفسي هنا جثة ساورها الإحساس بالموت، وكادت أن تموت فعلاً لولا أن هدأ القصف، وانتشع

الدخان، فنهضت ململماً بعضي، ورأيت - ويا لسوء ما رأيت - جثث المتقاتلين طافية على بركة قانية من الدم (يعود إلى اللابتوب. يضرب على الكيبورد ثانية)

لا تستغرب مما أقول يا صديقي فلم تعد الحدود واضحة بين طرفي النزاع خاصة عندما تتكرر بعض الوجوه في المعسكرين. إنهم يلعبون الدور نفسه فتارة هم الجلاد وتارة هم الضحية. يئست من الظرف الذي يمرّ به البلد ويئست من العيش فيه ولا احد يتركني لأعيش على طريقي. لو اعرف أين غار حراء لتركت الدنيا وذهبت لأعتكف فيه وأبحث عن نقطة نوري الخاصة وعن إيماني الخاص.

(يرن جرس النّقال. يترك شاشة المونيتور. يتوقّف الجرس. يتمشّى على غير هدى. يرن جرس النّقال ثانية فيسرع إليه) أهلاً حبيبتي... كيفك... (يتوقف عن الكلام مذهولاً) من؟... من معي رجاء؟ من!... ماذا تريد!... زوجتي... ما بها؟ اتفقت معكم على مبلغ الفدية... نعم أعرف هذا وسيكون المبلغ جاهزاً في الموعد المحدد... ماذا تعني؟ أية فدية أخرى (بدهشة كبيرة) فدية زوجتي!... ما الذي جرى لكم يا ناس لا يمكن أن أدفع لكم فديتين في آن واحد... نعم... نعم... بأي حق تجبرني على اختيار

أحدهما للقتل؟ هذا في منتهى الجنون... عذراً أنا لا أتهمكم بالجنون... أنه أنا المجنون الذي وافق على الدفع في المرة الأولى... حسناً... حسناً.

(يغلق الخيط ويظلّ الذهول ملازماً له. يتحرك جيئةً وذهاباً وهو يشعر بالحيرة والارتباك والاضطراب. يعود إلى اللابتوب ويكون شحنه قد انتهى. يتناول الأياد.. يقوم بتشغيله.. يقول كمن يحدث نفسه)

حمداً لله أنني شحنت الأياد قبل أن تطفأ الكهرباء. لم يكتمل شحنه ولكن من الممكن استخدامه بعض الوقت لحين عودة الكهرباء.

(يكتب فنقرأ على شاشة السكرين)

إنهم وسطاء جهنم؟ دعارة وغسيل أموال وخطف وفدية. الغوث يا أخي. ما عدت أعرف كيف أو إلى أين أتجه بتفكيري! إلى ابني ومحنته؟ أم إلى زوجتي ومصيبتها؟ أم إلى نفسي وتعاستها الدائمة؟

(يتوقف عن كتابة الرسالة) منذ ساعة فقط علمت أن أصغر عمّ لي قتل وهو يمر على أحد شوارع العاصمة. دفنوه هناك كما يدفن الغرباء لتعذر إرسال جثته إلينا. تأمر عليه بعض موظفي الدائرة التي كان يعمل فيها هنا ففصل من عمله وقرر العيش هناك في العاصمة وهو

الآن يرقد ربما في مقبرة الغرباء، وسيرسلون لي قائمة بتكاليف الدفع الفوري. الكل هنا يطالبونني بالدفع وأنا لا أطلب إلا بعيش متواضع كريم كأبي انسان في هذا العالم الفسيح. ربما نحن لا نستحق العيش هنا دون مرارة وحزن وفراق (يتوقف متذكراً) آه ما أشدّ وطأة الفراق عليّ بعد أن كرّس جهده للنيل من فرحتي المنتظرة بتخرج ولدي الوحيد. فراق الابن ثم فراق الزوجة. ثم... (غاضباً من نفسه) ثم ماذا؟ ألا يكفي ما حصل لنا حتى هذه اللحظة؟ إنني اختنق بين جدران هذا المكان المحاصر بالموت، والمهدد بالقاصفات، أو رصاص القنّاص الذي يتربّص بنا من على أسطح المنازل والعمارات في كل لحظة تمر بنا هنا داخل هذه الزنزانة التي يسمونها بيتاً.

(يذهب إلى النافذة. يصرخ)

هيه أنت أيها القنّاص البغيض أما تكتفي من لهوك القاتل هذا. عطشك الرهيب للدم سوف لن يتوقف عند حد معين فماذا تريد؟ حياتي؟ إنها أمامك الآن فخذها. لم أعد بحاجة إليها. خذها أيها الملعون. خذها. اللعنة عليك وعلى من فتح أمامك سواقي دم الأبرياء وغير الأبرياء.

(يترك النافذة) الملعون يجلس في برجه ليقرر من منا يقتل أو لا يقتل.

(إلى جمهور النظارة)

في الأسبوع الماضي طرق أحدهم بابنا ففتحت له. قال:

(يقلد صوت الطارق)

يا أستاذ أنت لم تدفع لنا شيئاً بعد. قلت من أنتم ولماذا

عليّ أن أدفع لكم؟ قال بنبرة شيطانية حاقدة:

(يقلد صوته)

أنا قنّاص الحارة، وعليكم أن تدفعوا لي. قلت لن أدفع

من أجل القتل ليرة واحدة.

غادرني وهو يتمتم: لكنك ستدفع أضعاف أضعاف

الليرة الواحدة. لم أعرف إلى ماذا أو إلى من يلّمح هذا

الرجل الموتور، ولم أعرف أن المقصود بتلميحه كان

ابني الوحيد، وأن الاتصال بين القنّاص الذي هنا مستمر

مع القنّاص الذي هناك عبر شبكة قنص هائلة شيدت على

امتداد رقعة هذا البلد المحاصر بالموت.

(يذهب إلى النقال. يفتح الخط، ويضرب على بعض

الأرقام مرة وأخرى)

اللجنة على خطوط الاتصال، لم تعد صالحة للعمل

الشريف. كيف أبدد ما تراكم عليّ من الأسى ولا أحد

يهاتفني أو أهاتفه، حتى أمي لم يعد الاتصال بينها وبينني

ممكناً. يبدو أنني وصلت إلى حالة كارثية أحاول أن

اشرك بها أمي لتخفف عني ولو قليلاً من عبئي الثقيل

ولكن ألا يكفي أمي ما حملت من كوارثنا حتى هذا اليوم؟ (يتوقف قليلاً) اليوم هو الجمعة. ولا بد لها أن تجلس مبكرة لتصلّي. وسأتصل بها بعد الصلاة مباشرة...

(يسمع أصوات تكبير قادمة من الجوامع)

يا إلهي ماذا جرى؟ هل تعيّر وقت الأذان أم ماذا!

(يسمع أصوات تكبير تعقبها دعوة للجهاد)

إنهم يدعون للجهاد مرة أخرى (يتوقف متذكراً) في الجمعة السابقة وقفوا وراء إمام الجامع بحجة حمايته من الكفّار والمارقين ولكنهم في حقيقة الأمر هددوه بالموت إن لم يدعو الناس للجهاد معهم، أو تحت رايتهم، أو بإمرتهم. وما كاد الرجل ينتهي حتى انطلقت أصوات الصبايا وهنّ ينشدن للرب الذي هزم الأحزاب كلّها، ثم أعقب الإنشادَ قصفٌ بالطائرات، والدبابات، والمدافع الخفيفة والثقيلة، وكأن الحرب قد أعلنت عن نفسها للتحرر من... من... من من (غاضباً) من ماذا؟ (بهذا) والله لم أعد أعرف. ثم أليس الأجدد أن نحرر أنفسنا من الأمراض التي توطّنت فيها، والعلل التي حلّت عليها، والأحقاد التي عشعشت في دخائلنا، وآلاف الأنواع من البكتريا الضارة التي صارت تتطفل عليها؟ أليس الأولى أن نتخلّص من كلّ هذا ليكون لنا ما للبشر جميعاً؟

(يتوقف قليلاً. يتحرك نحو حافة المسرح)

لقد باتت الأوضاع غريبة جداً وهي تأخذ منحى انتقامي.
(يسمع صوت طرق على الباب فيجفل)
من؟ من هناك؟ (يقترّب من الباب) من الطارق؟
(يتنبه لورقة تحشر من تحت الباب)
يا إلهي ما هذه الورقة ومن منْ

(يتناول الورقة ويقرأ ما فيها بصوت مسموع وقد كتبت
باللهجة العامية)

{مرحبا استاذ... كيفك... من شان الفدية يا استاذ
الجماعة يطلبوا منك دفع فدية ثالثة عن روحك
ويتمنوا انك فهمت عليهم... سلام}

(يرفع رأسه عن الورقة وقد أصابه الدهول. فترة صمت
قصيرة. ينفجر بعدها بالبكاء الشديد. يتوقف عن البكاء
ثم إلى جمهور النظارة)

معدرة إن كنت قد جهرت بضعفي أمامكم. ما العمل؟
ربما قتلوا الآن زوجتي وابني، وربما هم جادون في
طلب الفدية أضعاف أضعاف الليرة الواحدة كما قال ذلك
القناص البغيض. في البداية ابني الوحيد، ثم زوجتي، ثم
أنا. ما الذي تبقى لنا لنعيش؟ (ساخراً) هه نعيش؟! وهل
نحن أحياء لنعيش. وكيف يمكننا العيش وسط الضباع،
والذئاب، والذباب، وشتى أنواع البكتريا البشرية الزاحفة

الينا لتسدّ علينا ما تركته لنا الظروف من منافذ للعيش.
ثم هل يظنّ هؤلاء الاوغاد أنني قادر على الدفع كلّما
فرضوا عليّ فدية جديدة! ولماذا أنا بالذات دون غيري؟
(لنفسه) مهلاً. توقف. من أدراك أنهم فرضوا عليك الفدية
دون غيرك؟ ربما فرضوها على شقيقك أيضاً. وأمك ألا
يمكن أن يكونوا قد فرضوا عليها الفدية هي الأخرى؟
(إلى الجمهور)

لماذا يفرضون علينا كلّ هذا وهم العارفون أننا لا نستطيع
سداد فدية واحدة؟

(يتحدّث مع الفراغ)

أعطني يا أخي. يا من تفصله عني آلاف الأميال الأرضية
والبحرية. أعطني قبل أن أصاب بالجنون (يتذكر رسالته
التي لم يكملها بعد فيذهب الى الكمبيوتر ويبدأ بإكمال
الرسالة)

أخي العزيز. لقد صار كلّ شيء واضحاً الآن. إنهم
يريدون موتنا الجماعي. يريدون اطفاء الجذوة التي لا
تزال تتقد وتتوهج في ضمائرنا خشية أن تتطير شرارة
منها فتمحقهم محققاً. إنهم يتربصون بنا في كلّ مكان:
في البيت، وفي الشارع، وفي الحارة، وحتى في الحرم
الجامعي ولا خلاص لنا بعد أن حاكوا حولنا شبك
القنص العنكبوتية الهائلة. نحن عالقون في هذه الشباك

يا صديقي وما من سبيل للفرار فهل سنظل هكذا تحت
رحمة القناصين إلى أجل غير مسمى؟

(نسمع صوت انفجار هائل. تطفأ الأضواء. نسمع من
خلال الظلام صوت تعثر الكاتب وارتطامه بقطع الديكور
وهو يقول بإصرار)

لا بد أن نجد شمعة أخرى فلا يعقل أن نستسلم لظلام
طال كل مفاصل حياتنا بحلكته القاتلة. آ. تذكرت. الأياد
لا يزال محتفظاً ببعض الشحن.

(يتناول الأياد. يفتحه وعلى هدي توهج شاشته يبدأ
الكتابة مجدداً. تخترق رصاصة القناص نافذة الغرفة
وتمر عبره إلى شاشة الأياد فتحطمها. يجمد القاص
في محله. يستمر توقفه عن الحركة مع تصاعد الموسيقى
بينما الستار يسدل عليه تدريجياً.

الجزء الثاني: القنّاص

قبل العرض:

نشاهد فوق أحد السطوح القريبة من شقة القنّاص القنّاص وهو لا يزال يصوّب بندقيته نحو الشقة. يطلق رصاصة ثم يسحب أقسامها فتقفز منها الخرطوشة الفارغة. يترجّل من على المنضدة التي يقف عليها عادة أثناء القنص. يسند البندقية على الجدار. يستلّ سيجارة من جيب القميص المرقط الذي يرتديه طوال الوقت. يوقدها ثم يسحق عود الثقاب بحذائه العسكري. يخطو بضع خطوات واثقة ثم يتوقف في منتصف المكان. على من يقوم بهذا الدور منح الشخصية ملمحاً كوميدياً.

القنّاص: (لنفسه) لقد أطفأتُ آخرَ بصيص من النور في شقّته العفنة. يا له من غبي لا يعرف أن الأجهزة المشعّة التي يستخدمها هدف سهل لقنّاص بارع مثلي (يقفز برشاقة فوق المنضدة ليواجه شقة القنّاص) سأجعل أيامك أكثر ظلاماً مما أنت فيه الآن، ولا تحاول استخدام مخزونك من الطاقة ثانية لأنني سأبددها برصاصة تعرف مستقرّها.

ولكن هذه الكلمات تضحكني. إنها في الواقع تدغدغني
وكان لها آلاف الأصابع التي تنهال على أكثر مناطق
جسمي استجابة للدغدغة.

(يقهقه بصوت عال يقاطعه صوت انفجار هائل. يرمي
بنفسه على الأرض كرد فعل للانفجار. يتحرك صوب
الجهة التي جاء منها صوت الانفجار.. يحدّق ملياً ثم
يترك المكان عائداً إلى جوار المنضدة)

هؤلاء القتلة يفنخون ويفجّرون قبل أن يحذروني
وكانهم لا يباليون بحياتي أنا قنّاص الحارة، وأنا المسؤول
عن أمنها وسيادتها، ولولا لي لما استطاعوا الحصول على
قرش واحد من الناس. لقد دفع الجميع ما عليهم من
المال إلا هذا الأستاذ الذي أكرهه كرها شديداً. كان عليّ
التخلّص منه قبل أن أضع اسمه على قائمة أهل الحارة.
ماذا أفعل وقد أمروني أن لا أقوم بأي شيء يزعجه.

(يتحرك بلا هدف ثم يوجه كلامه لجمهور النظّارة)
في البداية أقنعت نفسي أنهم ربما يفكرون ببقائه حياً
للاستفادة منه. لكن سيدي المسؤول قال وهو يقف هنا
(يشير إلى المكان) على هذه المنضدة بعد لحظة تأمل
للتقرير الذي كتبته عن الأستاذ:

(مقلدا صوت المسؤول بسخرية)

احرص على سلامته كلما نزل من شقته مغادراً إياها إلى
الجامعة... هل فهمت؟

(يعود لشخصيته)

نعم فهمت. لكنني لم أمسك نفسي عن الضحك فانتابني
موجة قهقهة عالية، وقبل أن أكمل ضحكتي صفعني
سيدي المسؤول صفعة قوية لم أستطع ردّها إليه. قال
بعصبية شديدة:

- أتسخر من سيّدك أيها الحقير؟ قلت له:

- (يتحدث الى رجل وهمي) عفوا سيدي أنا لم أسخر
منك.

- ممن سخرت إذن؟

- من الجامعة فلا أحد يمكن أن يذهب، برجله، إليها.
- وكيف يذهب الناس إليها أيها الغبي؟
- نحن نذهب إليهم ونضعها على أيديهم (يحرك كتفيه)
خلص.

حينها ضحك سيدي مقهقهها بأعلى صوته
(يقلّد ضحكة المسؤول وصوته)

- ههه ههه ههه هاو. يا غبي الجامعة غير الجامعة
(يتوقف قليلا. ينقل سبابته موضعياً بين جهتي الكلمتين)
عله بفهم شيئاً)

ازددت حيرة من الجامعتين فقال لي:

- (يمثل دور سيده) يا غبي الجامعة يدرس فيها الناس.
- وكيف يدرس الناس في الجامعة؟
- الجامعة كالمدرسة.

حينها سحبت الجامعة من حزامي محتجاً وأنا أقول له:
هذه هي الجامعة كما كان يسميها مأمور المخفر كيف
يمكن للناس أن يدرسوا فيها؟! ضحك المسؤول مرة
أخرى وقال:

- هذه تسمّى جامعة وتلك تسمّى جامعة أيضاً والفرق
كبير بين الاثنين.. هل فهمت؟

بعد مغادرة المسؤول مباشرة قلت: لا لم أفهم. ثم صبيت
جام غضبي على الأستاذ وأطلقت على شقته عدداً كبيراً
من العبارات النارية. قلت لولاه، ولولا تسمياته، وكلماته
المضحكة لما وقعت في هذا الموقف السخيف.

(يلتفت لجمهور النظارة)

لماذا لا يسمونها (كلبجة) ويريحوننا من هذه الكلمات
المزعجة؟ (بسخرية) جامعة.. هه ما أقطعها من كلمة.

(يتذكر على نحو مفاجئ وهو ينظر إلى ساعته اليدوية)
أوه لقد نسيت نفسي. عليّ أن أراقبه فقد حان وقت ذهابه
إلى تلك التي يسمونها جامعة.

(يقفز إلى المنضدة. يوجه بندقيته نحو الشارع. يتابع

حركة الأستاذ من خلال منظار البندقية)

حمداً لله إذ دخلها سالماً.

(إلى الجمهور)

أفزع شيء أن تحافظ على حياة إنسان تتمنى له الموت
في كل لحظة. حقيقة لم أعرف أول الأمر لماذا عليّ
الحفاظ على حياته. وبعد أن كتبت عنه تقريراً مفصلاً،
كان سيدي قد أمرني بكتابته، عرفت لماذا.

(متضابقاً)

أنا غبيّ فعلاً. ولو كنت أملك ذرة ذكاء لتوصّلت إلى
ما توصل سيدي إليه. لم أكن أعرف أن لهذا المجنون
كدس من النقود، والمجنون، كما يعرف الكلّ، لن يتخلى
عن أبسط الأشياء بسهولة، ولهذا خطفوا ابنه الوحيد بعد
خروجه من المدرسة. أقصد تلك التي يسمونها جامعة
برفقة صديق له ليقرروا حجم الفدية التي يريدون.

في البدء قالوا له: ابنك محتجز في دائرة استخباراتية. لم
يصدق هذا المجنون بكلامهم لكن أمه صدقت فشددت
رحالها إلى المحافظة التي يدرس فيها ابنها، ولم يستطع
ثنيها بعد أن هاجت وماجت في نفسها وروحها غريزة
الأمومة. قال لها: لن تستطيعي الوصول إلى ابنا والطريق
محفوف بالمخاطر الجسام.

(يتوقف قليلاً يستدير صوب الجمهور)

أو كما يقول الأستاذ يَلْغُ الواحد منهم دم الأبرياء..
(مههدداً) أليس كذلك؟ (لا أحد يجيب) يبدو انني
لم أتخلص بعد من كلمات الأستاذ. اللعنة على تلك
القصة التي نشرها وقرأتها لأعرف كيف يفكر فأضيف
لتقريرى عنه بعض الكلمات الغريبة التي يستخدمها. هل
أنا فيلسوف لأعرف ماذا تعني كلمة يَلْغُ؟ أغلب الظن
أنها جاءت من اللُّغوة أو ربما من اللاغوت على الرغم
من أنني لا أعرف ما هو اللاغوت (ينتبه لنفسه) عليّ
أن أراقب خروجه من.. من (ينسى ما يريد قوله) لنقل
من الكلبجة.

(يرصد الطريق من خلال ناظور البندقية)

عليّ أن أحافظ على حياته كما أمرني سيدي وأن لا أدع
أحدا يقترب منه أبداً فقد يرديه قتيلاً فيورطني مع سيدي.
أوه. من هذه التي تقترب منه؟ وماذا تريد؟ هل تريد قتله
لتورطني؟ لقد اقتربت أكثر مما ينبغي لها.

(ينادي بصوت عال)

ابتعدي أيتها الشمطاء لا تقتربي منه. إنك ترتكبين خطأ
يا امرأة. ما هذا! إنها تقترب أكثر وعليّ ردعها. سأوقفها.

(يطلق رصاصة من بندقيته)

هيه لقد سقطت عليه. ابتعد عنها رجاءً (يبدو عليه
الارتياح) حمداً لله لقد ماتت ولم يصب الأستاذ بسوء.

(يفزّ إذ يسمع صوت عيارات نارية قادمة من اتجاهات مختلفة. يعاود الوثوب إلى المنضدة. يرنو جهة الصوت) إلهي رحمتك لقد استعرت الحرب ثانية. ماذا أفعل وهو لا يزال في طريقه إلى شقته؟ وكيف أحمله من هذه النيران اللعينة؟ آه... اللعنة على سيّدي وعلى كلّ الأسياد. هل أنا خادم في بيت الذين خلفوهم ليأمروني ويزجروني كما يحلو لهم؟ ماذا أفعل؟ يا إلهي إنْ قُتِلَ الأستاذ في هذه المعركة؟ سيقتلني سيّدي وأنا الضعيف المستضعف الذي لا حول له ولا قوة. أعني يا إلهي على حمايته فروحي باتت معلقة بروحه القذرة.

(ينادي على الأستاذ)

أسرع بالله عليك (منفعلاً مع الحدث) انحن قليلاً. أوه لا تمش ببطء. هل تريد الموت؟ أسرع أيها الغبي. يا إلهي. إنه يريد التفرّج على المعركة. أي غبي أنت. هل هذا هو وقت الفرجة. أسرع بالله عليك... أأأأأ... انبطح أرضاً (متوسلاً) أرجوك... أتوسل إليك انبطح أرضاً.

(يسحب نفساً عميقاً إذ يشعر بالارتياح)

حمداً لله لم تصبه الشظايا. لو كان عندي من الوقت ما يكفي لنزلت إلى الشارع من أجل الحفاظ على روحه القذرة ولكن ماذا أفعل وقد استعرت المعركة على نحو مفاجئ؟

(يعود لينظر إلى الشارع ثانية. يتوقف القتال بعد انفجار هائل زلزل المكان. ينبطح القناص أرضاً) لقد توقفت المعركة بانفجار هائل لا أعتقد أن أحد يمكن أن يخرج منه سالماً (يتبته لنفسه) ولكن ماذا عن الأستاذ؟ (يبحث بواسطة المنظار)

يا إلهي لقد اختفى تماماً. أين أنت أيها الغبي. أنا لا أرى إلا كومة من الجثث على بركة من الدم. يا ويلي لقد فقدته ثانية.

(يدقق النظر في مكان المعركة)

هل تبخر مع من تبخر بعد الانفجار! كيف سأعرف انه مات؟ أين جثته؟ أنا لا أرى أي جثة له بين تلك الجثث. لقد كانت المعركة سريعة جداً. (مرتبكاً) ماذا سأفعل؟ وكيف سأخبر سيدي عن موته؟ من المؤكد أنه سيأمر حظيرة كاملة لتقتلني أبشع قتلة.

(الى جمهور النظارة)

هذه أسرع معركة شهدتها هذا المكان. لقد مات الطرفان ولم ينج أحد منهما.

(يعاود النظر مرة أخرى. يفاجأ)

ما هذا يا إلهي! ثمة جثة تتحرك... آ، إنها جثة أحدهم. يبدو أنه لم يمت بعد. كلا. إنه ميت. إنه، إنه مجرد جثة هامدة (يتوقف مذهولاً) ولكن كيف للجثة أن تتحرك؟ (يستخدم منظار البندقية) لا. آه. الحمد لله. الحمد لله.

الجثة كانت جاثمةً عليه وهو يزيحها عنه بصعوبة.

(ينظر إلى السماء بارتياح)

أشكرك يا رب. أشكرك يا رب. كنت أعرف: إنك لن تتخلى عني أبداً. لقد أنقذت حياته من أجلي. من أجلي أنا. سأعاقبه على ما سببه لي من القلق على روحه. سأذهب إلى بيته وسأسبّه وأشتمه وإن اقتضى الحال سأبصق على وجهه ثم أجبره على دفع بعض النقود (متردداً) ولكن ماذا لو عرف سيدي بذلك؟ حتماً سيعاقبني أو يهينني كما يحلو له دوماً ومن أجل من؟ هه من أجل رجل لا يساوي عندي ثمن الرصاصة التي أطلقها بين الحين والحين لتثقب جهة من جباههم.

(إلى الجمهور)

في المرة السابقة ذهبت إليه وقلت له بصريح العبارة: يا أستاذ أنت لم تدفع لنا شيئاً بعد فأجابني بقوة لا أعرف من أين استمدها:

(يقلد صوت الأستاذ) لن أدفع من أجل القتل ليرة واحدة فغادرته وأنا أتمتع مع نفسي: ولكنك ستدفع أضعاف أضعافها. لقد شعرت باهانة لم يستطع أي فرد من أفراد الحارة توجيهها إليّ فأنا قنّاص الحارة الماسك بأرواحهم جميعاً.

(يسمع صوت عيار ناري. يقفز إلى المنضدة. يلقي نظرة بانورامية على الشارع)

اللجنة لقد قتلوا طفلة بعمر الزهور. هؤلاء الأوباش سألقنهم درساً لن ينسوه أبداً.

(يتناول بندقيته. يصبّو إلى جهة ما ثم يبدأ بإطلاق النار. يفتحون النار عليه بكثافة)

سأنال منكم واحداً واحداً (يطلق) لقد أصبت أحدهم وعليّ بالثاني. أنا أراه جيداً وهو لا يستطيع أن يراني. حسناً إليك هذه الرصاصة (يطلق) أصبته في الناصعة هه. (ينادي بأعلى صوته)

اهربوا ولا تتركوا أرواحكم رهن يديّ الماهرتين. (يتوقف القتال)

لقد هربوا فعلاً. يا لهم من جناء. لم يستطيعوا الصمود أمامي فولوا هارين.

(يستمر بالنظر إلى الشارع فيفاجأ)

يا إلهي! ما هذا! ماذا يفعل هذا المجنون (ينادي) هيه. أنت يا أستاذ. ماذا تفعل. اصعد إلى شقتك ولا تعرّض نفسك للخطر. لا تنظر إليّ كالأبله. اصعد إلى شقتك.

(يلتفت إلى جمهور النظارة)

ماذا أفعل مع هذا المجنون الفظيع؟ سيقتلونه حتماً أنا أعرفهم لن يعترفوا بالهزيمة الأولى.

إليه ولتذهب الطفلة إلى جهنم وبئس المصير.

(ينظر إلى الموبايل بامتعاض. يسحب نفساً طويلاً ثم يزفره بتأفف) لقد أغلق الخط بوجهي. رجل بلا أخلاق. بلا أصول ينكّد عليّ عيشي. اللهم نكّد عليه عيشه. أنا لم أأخذ قرشاً من أحد فلماذا يعاملني هذه المعاملة القذرة؟ وهل تمنعه أخلاقه أو شرفه من ابتزاز المساكين؟ ماذا أفعل وقد وضع روحي بين يدي ذلك المجنون. لقد هدّدني بصريح العبارة:

(يقلّد صوت سيّده)

إن لم تحافظ على روح الأستاذ سأقبض على أرواح عائلتك روحاً فروحاً ثم أتفرّغ لروحك القذرة. (يفكر. يحاول معرفة الواشي)

ترى من الذي وشي بي؟ وهل يعقل أن هذا (يشير إلى جهة الشقة) قد فعل ذلك للتخلّص مني؟ (لحظة تفكير. يهز رأسه علامة النفي)

لا أظن. فالمجنون (يشير نحو شقّة الأستاذ) لا يفكر بهذه الطريقة. لا بد من وجود واش في الحارة، وسأعرفه حتماً (بيأس) حتى وإن عرفته، أو تخلّصت منه فمن يضمن عدم وجود وشاة آخرين؟ الكلّ هنا يراقب الكلّ حتى قنّاص الحارة بات مراقباً هو الآخر.

(يرن جرس الموبايل)

من يريد إهانتني أيضاً؟ أهو سيدي ثانية؟ علي أن افتح

الخط. ألو... ألو... من هناك... أنا لا أسمعك جيداً...
ارفع صوتك قليلاً... من؟... اتصل بي مرة ثانية ربما
أستطيع سماعك أو ربما يتحسن الخط بيننا.
(يغلق الموبايل. وقبل أن يضعه في جيبه يرن مرة أخرى)
عجيب أمر الخطوط هذه الأيام. ألو... نعم... نعم أنا
فئاص الحارة ماذا تريد... من أنت ولماذا تتصل بي؟...
من أجل ابنتك؟ ما بها؟... ماذا؟... تريد إرسالها إليّ
لأحميها؟ ممن؟... لا تعرف؟ حسناً أرسلها وسأقوم
بحمايتها حتماً... قلت لك أرسلها... حماية الصبايا
واجبنا الأول... كن مطمئناً... ماذا تقول؟ أنكحها؟ لا لا
لا يمكن... أي جهاد هذا... آ... تذكرت جهاد النكاح...
ارسل المجاهدة التي فوراً لتمارس معي جهادها عسى أن
يتقبل الله منّا ومنها ومنكم أجمعين... مع السلامة.

(لنفسه وهو يفرك يديه ناصحاً نفسه)

عليك أن تأخذ القليل من الراحة فبعد هذا الجهد
المرهق والإهانة الشديدة لا بد لك أن ترتاح بين يدي
صبية عذراء. يا لها من فكرة عظيمة وفتوة مفيدة هذه
التي توفر للمقاتلين من أمثالي فرصة النكاح المجاني.
متى ستصل هذه الصبية الجميلة.

(يناجيها)

لا تتأخري يا بنيتي.

(يتوقف فجأة ثم لنفسه)

يا غبي أتقول لها يا بنيتي وهي التي ستمنحك بعد قليل
دفع مؤخرتها. منذ وقت طويل وأنا أحلم بجسد لدن
لصبية يافعة فخذاء ولم أحصل عليها. شكراً لله لقد
جاءت فرصة العمر إليّ راحة تحت قدمي. لا لا أبداً
أنا من عليه الركوع بين فخذيها اللدين. ستقرع الباب
وسأفتحها بشوق ولهفة، وسأضمّها بين يديّ، وسأسمح
ليديّ ملامسة كل جزء من جسدها الناعم.

(حالما)

سأضمّها اليّ هكذا (يضم يديه إلى صدره) وسأدور بها
هكذا. ثم تتوقف هنا لأمتص رحيق شفيتها (يمثل حالة
التقبيل حالما) هكذا...

(يرن جرس الهاتف فيفز بشدة قافزاً بطريقة تشير ضحك
الجمهور. يصب جام غضبه على الموبايل)

اللعنة عليك وعلى الكافر الذي صنعك وعلى أهله
جميعاً. تفو عليك. لقد قطعت عليّ حلمي السعيد.
(ينظر إلى الموبايل بغضب صامتا. يرن ثانية فيفز)

من تراه يطلبني في هذا الوقت أيضاً؟

(يضغط على زر الموبايل)

ألو... من معي؟... أنت من؟ قل ما تريد بسرعة ولا

تزرعني... ها... من؟!... سيدي؟!... أنا آسف يا سيدي
ظننتك شخصاً آخر... قصدت شخصاً مشاكساً... نعم
سيدي... نعم أنا غبي... ها؟... ماذا؟... كيف يحصل
هذا يا سيدي وأنا موجود هنا وأراقب كل من يدخل
أو يخرج من البناية؟... أمرك سيدي... سأثبت نظري
على بوابة البناية من الصباح إلى المساء... كلا لن أنام
سأواصل المراقبة ليل نهار.

(ينظر إلى الموبايل بغضب)

لقد أغلق الخط بوجهي كعادته (متهكماً) حمار. لا
يفهم في الأصول (يفكر مهموماً) يبدو أنني غبي فعلاً.
لقد استغفلوني. ليست ثمة صبية ولا هم يحزنون. لقد
خدعني أحدهم ليجعل الدخول والخروج إلى شقة
الأستاذ ممكنة. الكلاب اعتدوا عليه بالضرب والشم
والإهانة. أخذوا ما معه من النقود وتركوه بحال بائس.
خرجوا من الشقة والبناية في الوقت الذي كنت أعدّ
نفسي فيه لوليمة جنسية شهية.

(يصعد على المنضدة. يلتق نظرة فاحصة)

في المرة المقبلة سأقتل كل شخص يقترب من شقته.

(يرن جرس الموبايل)

من أيضاً (يكلم الموبايل) والله لولا مكالمات سيدي لي

لرميتك على مزبلة الشارع. ألو... سيدي... نعم سيدي
أنا الغبي الذي يتحدث معك... صدقتي... لا وجود لأي
أحد غيري... ماذا؟

(تنفرج أساريره)

حمداً لله على نعمته... اشكرك يا سيدي... سأفعل
حتماً... حتماً يا سيدي... مع ألف سلامة يا سيدي (يلق
الموبايل) الف سلامة يا سيدي.

(الى جمهور النظارة)

يبدو أن اليوم يوم سعدي. يقول سيدي إنهم طلبوا من
الأستاذ فدية أخرى. بل فديتين إضافيتين. واحدة من اجل
ابنه... (يقاطع نفسه) كلا هذه هي الأولى بعد اختطافهم
لولده. الفديتان واحدة من أجل زوجته والأخرى من
أجله وسيمنحني سيدي بضعة آلاف منها مقابل أن لا
أغفل عن تحركاته وتنقله من الشقة إلى المدرسة لا لا
ليست المدرسة. إنها ال... ال... تعرفون ما أقصد... تلك
التي تشبه (الكليجة) ما اسمها؟
(ينتظر إجابة أحد المشاهدين)
نعم الجامعة. أحسنت.

(يسمع أصوات بعض المارة فيشب إلى المنضدة)
من هؤلاء ولماذا يمرون من هنا. أغبياء لا يعرفون أن

المرور من هنا يكلف أرواحهم.

(يصوب البندقية نحو المارة)

هل اقتلهم جميعاً؟... أم أكتفي بواحد منهم؟ (يفكر) هذه المرة سأكتفي بواحد منهم كي يبلغ الحاضر الغائب أن المرور من هنا يكلفهم أرواحهم القدرة.

(يطلق نحو أحدهم)

هدف سهل للغاية. لقد رحل مغادراً، من معه، إلى رحمة الله. أتمنى أن لا ينزل إليه كما فعل في المرة السابقة.

(يستدير نحو الشارع. يصوب. يرمي)

هذه الرصاصة من أجل أن تزهر روحه إن بقيت له روح فلا أريد أن تستعطف أنفاسه الأخيرة الأستاذ فينزل إليه معرضاً نفسه للخطر.

(للجمهور)

عليّ أن لا أغفل عنه ولو لحظة واحدة فالأمر يستحق الآن اهتماماً إضافياً.

(ينظر نحو البناية. يفاجأ)

امرأة تقترب من البناية.

(يتناول بندقيته. يصوب نحو المرأة. يتردد. يدقق النظر)

من؟ زوجته؟! لماذا أعادوها إليه؟ كيف سيدفع فدية عنها وهي بين يديه؟ يا لهم من مجانين. ترى أتحمّل رسالة إليه! لا أظن. ولم لا! إنها ورقتهم الراححة ولا بد أنهم

صاروا على مقربة من الفديات الثلاث فسيدي يعرف من أين تؤكل الكتف بل إنه يعرف أيضاً كيف تؤكل الكتف، وسيرمي لنا بعض ما نود أكله وكأننا كلابه الجائعة. من الجيد أن نكون كلاباً أوفياء لسيدنا الذي أشبعنا بعد جوع، وآوانا بعد تشرد، ودقاًنا بعد برد من أن نكون كلاباً سائبة تتلقى الضرب، والطرده، وصنوف الازلال والإهانة. هو قاس بعض الشيء ولكنه أرحم من الجوع (معللاً) صحيح أنه لا يحترم أحداً. وأنه يقوم بشتمنا واهانتنا دوماً إلا أنه أرأف بنا من غيره. أحياناً فقط يتصرف بلا أخلاق وهذا من حقه كمسؤول.

(لنفسه)

لا تثرثر كثيرا فتنسى أنك هنا لمراقبة الأستاذ وزوجته (زاجرا نفسه) كلا.. لمراقبته فقط (مترجعاً) بل، بل لمراقبة زوجته أيضاً فإن حدث لها بعض السوء، لا سامح الله، فربما يجعله هذا يمتنع عن دفع الفدية. حسن سأراقبهما معا حتى تتضح لنا الأمور.

(يصعد على المنضدة)

ما هذا يا إلهي! انها تغادر البناية. كيف أتصرف معها ولم يخبرني سيدي بهذا؟ المشكلة أنني لا أستطيع متابعتها فأنا مربوط بشقة الأستاذ. آه كم أكره هذا الأستاذ اللعين.

والله والله بعد أن يدفع الفدية مباشرة سأقتله شرّ قتلة.
سأفصل رأسه عن جسده وأدخره على درج البناية من
أعلاه إلى أسفله. وعندما يصل رأسه إلى باب العمارة
سأرسم على الشارع مرمى، وسأجعل من أول عابر
للسبيل حامياً للمرمى، وسأمارس ركلات الجزاء حتى
أحرز هدف الفوز، وسأفوز حتماً على الرغم من أنني لا
أجيد ركلات الجزاء.

(يتوقف مستذكراً وهو يعد على أصابعه)

فدية، فديتان، ثلاث. ما أعظمك يا سيدي وما أعظم
مكرك الرهيب. من دونك لم يستطع أي منا الحصول
إلا على الفتات فلم يبق للناس ما يقيتونه به أنفسهم، لم
تعد لهم القدرة على الدفع كما كانوا قادرين من قبل، ولم
يبق أولاد الحرام لأولاد الحلال شيئاً. جشعون للغاية لا
يكتفون بما قسمه الله لهم. كنت أمني نفسي بالسيطرة
على الحارة المجاورة ولكن بعد أن دخلتها الجرذان
السود لم يبق فيها شيء من المال والحلال. لقد نهبوا
كلّ شيء من الناس وتركوهم نهباً للعوز والفقير. كان
يجدر بنا محاربتهم وطردهم أو القضاء عليهم جميعاً
ليصبح كلّ شيء لنا. لنا فقط. أليس هذا هو العدل بعينه؟

(يرن الموبايل. يرتبك. يفتح الخط)

ألو... نعم سيدي... نعم كنت اراقب شقته... نعم لم
أغفل عنها ولا حتى دقيقة واحدة... لا أنا لم أكذب
أبداً... أبداً يا سيدي. (يقفز بسرعة خاطفة. ينظر إلى
شقة الأستاذ)

إنه داخل شقته الآن... لا... لا أستطيع رؤيته لكنني
متأكد أنه في داخلها... (يفاجأ) ماذا؟... غادر؟!...
كيف؟! أعني إلى أين؟ لا يمكن... كلا لم أقصر في
واجبي... والله والله لم أقصر في واجبي. ماذا؟ ماذا!
حاضرة إعدام؟! سيدي أرجوك... أتوسل إليك... أقبل
قدميك... سيدي... سيدي لا... لا

(يغلق الخط. القنّاص يظلّ صامتا. يسمع وقع أقدام
تقترب)
لقد وصلت حاضرة الإعدام. لن أدع أحداً يتشفّى بموتي
وموت أسرتي.

(يضع فوهة السبطانة أسفل فكه السفلي. يزداد وقع
الأقدام اقتراباً وبين خوفه ورهبته من الموت يصرخ
صرخة مدوية فتطفأ الأضواء. ومن خلال الظلام نسمع
صوت إطلاقه مدوية).

انتهت

القتيل والقاتلة

مونودراما تعاقبية بجزئين

الجزء الأول: القتل

قبل العرض:

{ نشاهد داخل عيادة أحد الأطباء، الذين عملوا فترة طويلة من حياتهم مع رجال الاستخبارات، ثم تركوا العمل معهم، مكتباً أنيقاً شرقي الطراز مزوداً بما يلزم الطبيب من الأدوات واللوازم الطبية. على يمين الخشبة نرى سرير فحص المرضى، وعلى الأرض ثمة مقياس للوزن وآخر للطول. مجسّمان إيضاحيّان أحدهما لجسم رجل وآخر لجسم امرأة في منتصف الخشبة. بضعة كراس موزعة باهتمام داخل الغرفة. الطبيب جالس خلف مكتبه وهو يضرب على أرقام الموبايل، من كارت بيده اليسرى، ويتنظر الرد }

القتيل: ألو... أنا الطبيب رضا فتاح سرباد...

(ينظر الى الكارت)

شكرا لك سيدة الهام... عفوا أنا آسف جداً ولا بد أن أكرر شكري الجزيل يا آنسة... أريد منك تصميم ديكور فخم لعيادتي... لا تهتمي أبداً بشأن الكلفة سنتفق عليها بالتأكيد... حسن هذا يروق لي كثيراً... إلى اللقاء.

(يترك المكتب. يخطو بضع خطوات وهو يفكر، ثم كمن تذكر شيئاً يعود إلى الموبايل. يلتقطه من على منضدة المكتب. يضرب الأرقام مرة ثانية)

ألو... عفوا يا آنسة نسيت أن أضرب لك موعداً لمشاهدة المكان... حسناً أنا أفضل أن يكون بعد انصراف المرضى مباشرة لكي لا يقاطع أحد سلسلة تصورك عما يناسب مكتبي... نعم... بكل تأكيد... أتودين أن يكون الموعد غداً؟... طيب وماذا بشأن الجمعة؟... حسناً إنها يوم مبارك... ليكن... سأكون بانتظارك حتماً.

(يغلق خط الهاتف)

كان لا بد لي أن أهاتف مكتبها فهي مصممة ديكور تتمتع بذوق رفيع جداً. يقولون إنها حققت نجاحات باهرة في عملها، وكسبت شهرة مبكرة فضلاً عن جمالها الذي يضاهي جمال ديكوراتها. ربما جاءت شهرتها مما تتمتع به من جمال. على أية حال سأتحقق من كل هذا حين تأتي نهار الجمعة ولكن ماذا لو بدت مثلما يقولون؟ أعتقد انها ستكون مثيرة للاهتمام فشابة طموحة مثلها تستطيع التأثير على زبائنها بطريقة سحرية.

(يتوجه نحو جمهور النظارة)

جاءت في الموعد المحدد بالضبط، وكنت قد انتهيت من آخر مرضى عيادتي. دخلت عليّ وكأن ملاكاً من نور

قدم من السماء ليبارك عيادتي الأرضية المظلمة. قلت ما شاء الله هذا جمال رباني باهر يخطف الأبصار، ويأخذ القلوب، ويمتحن إيمانها. تبسم ثغرها عن ابتسامة وقور. نهضت من على الكرسي وقدمت لها كرسيًا لتجلس عليه. قالت بتهديب رفيع وحياء بالغ:

شكرا لك سيدي الكريم. هل نبدأ العمل؟
قلت بالتأكيد سنبدأ ولكن ليس قبل تكرمك لي بشرب فنجان من القهوة.

(يسمع طرقا على الباب. يتحرك صوبها ومن ورائها يحدث المستخدم في عيادته)
اعمل للآنسة فنجان قهوة وغادر. انتهى عملك لهذا اليوم. (يظلل واقفاً في محله وهو ينقل نظراته بين مكان جلوسها وبين جمهور النظارة)

لم تكن خائفة من وجودها معي في خلوةٍ وبعدي عن أنظار الآخرين. كانت واثقة من نفسها تماماً. وربما واثقة مني أيضاً (بتباه) فلي مظهر يبعث على الارتياح والرضا (يجلس) جلست قبالتها وأنا أنظر إليها منبهراً مأخوذاً بجمالها الأخاذ.. وإذ أحسّت بالخرج خرجت من صمتها.. قالت عفوا سيدي حبذا لو توضّح لي فكرتك العامة عن الديكور الذي تريد كي أضع تصوري عنه. لم أنتبه لكلامها، ولم أصغ إلا لصوت الجمال الذي لفني

بدوامته القائلة. ابتسمت ثانية وهي تقول. سيدي الكريم

هل سمعت كلامي؟

(بنهر بعض الشيء)

سيدي...

ع ع عفوا... عفوا أنستي لقد سرحت بأفكاري بعيداً عنك. صحوت مما أنا فيه وكأني خارج لتوي من غيبوبة طويلة. قالت هل تعاني من شيء سيدي؟ قلت نعم من كوني لا احتتمل بعض الأمور غير المحتملة. قالت مثل ماذا؟ قلت لا عليك لقد انتهت الحالة والحمد لله.

(ينهض من على الكرسي)

أنسة الهام فكري بتغيير هذا المكتب أولاً. أريده من طراز حديث بلا زخارف وبلا تزويق، وبحجم أكبر من هذا ليتسنى لي وضع المزيد من المستلزمات الطبية. على هذا الجدار أريد أن تضعي بعض المخططات الطبية التوضيحية الجديدة. أما السرير... (يقترب منه ويربت عليه)

فحاولي أن تجدي ما هو أكثر قوة ومرونة فإن لم تجدي في الأسواق سريراً بهذه المواصفات فلا تترددي عن وضع تصميم له ليصنع في أي معمل للحداثة .

(يقترب من المجسمين. يضع يديه على كتفيهما)

وليكن كافياً لاحتواء مريضين في آن واحد. سأخرج

لأجلب قهوتك بنفسي. خذي المقاسات التي تحتاجينها
على مهل.

خرجت لأجلب القهوة فرأيت أن المستخدم لم يغادر
بعد.

(نسمع صوته خلف الكواليس)

ما الذي أبقاك حتى هذه اللحظة؟ ألم أقل لك أن عمك
قد انتهى لهذا اليوم؟ هيا انصرف حالياً
(يدخل إلى غرفة الفحص)

وما أن عدت حتى رأيتها منهمة بأخذ بعض المقاسات.
لم تشعر بوجودي خلفها فنظرت لمؤخرتها بشره عجيب.
كادت عيناها تخرجان من محجريهما وتلتصقان بها.
قلت منبهراً ما شاء الله فانتبهت للصوت واستقامت في
وقفها وقد أحست بمدى انبهاري وهيامي الذي لم أخفه
عنها.. قالت:

أسفة سيدي لم انتبه لخطواتك وأنت تدخل.
قلت دون أن أنتبه لنفسي:

حسنا فعلت إذ لم تنتهي وإلا لما تسنى لي أن أرى ما
رأيت من الجمال الفتان.

(يلتفت لجمهور النظارة)

أحست بالخرج يتابها دفعة واحدة فارتبكت ردة فعلها.

(يعاود النظر إليها)

هذه قهوتك. رجاءً اترك العمل لحظات لتمتعي بمذاق قهوتي. ستجدين أنها ذات نكهة خاصة ربما لم تتمتعي بمثلها من قبل. بل إنك لن تتمتعي بمثلها من بعد. أنا أعرف هذا وأكتشفه في الناس حالما أنظر في عيونهم. ينظر كما لو إنه ينظر في عينيها فعلاً) ألمي الكبير أن تعجبك قهوتي فتحظي بمذاقك الراقى.

(يستمر محدقاً في الفراغ)

بالمناسبة هل تعرفين يا آنستي أن لون عينيك كلون قهوتي؟! ألا يعني هذا أن بيننا ثمة شيء مشترك؟ شيء يدعوا إلى التفاؤل أو التقارب أو ربما اجتماعنا على عل على الخير.

(بتأكيد ولكن بتصنع أيضاً)

على الخير طبعاً.

بعد ثلاث رشقات من القهوة عادت للعمل ثانية. كنت أراقب حركاتها بدقة وتركيز وهذا ما تعلمته بالضبط يوم كنت أعمل طبيياً بإمرة الاستخبارات. أتأمل تقاطيع وجهها وأهيم أحياناً بمفاتيح جسمها فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم فأنا طبيب كبير ولا يصح لي أن أتصرف كالصغار. أعوذ بالله ثم أتمنى لو أنني كنت

صغيراً في مقتبل العمر فهذا الجمال لم يخلق جزافاً. لقد صنعه الرب لبيتلينا به وليعرف أيّنا أحق به ولكن ليس من المعقول أن يكون كلّ هذا للشباب، للشباب حسب. ونحن؟ أليس في داخل كلّ منا ما يعجز العمر عن قهره أو تبديده؟ أليس لنا من قوة الغرائز ما للشباب جميعاً؟ لماذا إذن نحرّم على أنفسنا ما يحلله الشباب على أنفسهم. هذا ليس عدلاً. ليس عدلاً أبداً.

(يلتفت إلى جمهور النظارة)

نحن من يقيم الجمال بدراية، وذوق، وخبرة، وإحساس، ونحن من يستحقه. أنتم تعرفون هذا أكثر من غيركم لكنكم تكابرون. تدعون أنكم زاهدون في النساء علناً، ولكنكم منغمسون بالرغبات باطناً حد استعارتكم النصوص التي تبيح لكم المحرمات لتبرروا بها توقعكم لكل أشكال المضاجعة. أما أنا فأرى ما لا ترونه أنتم فإن اتهمني أحدكم بالرجوع إلى الصبا فإنني سأضع داخله خارج نفسه ليرى بأم عينيه كيف يناقض المرء نفسه المستكينة بنفسه الجامحة. أنا أعرفكم جميعاً، ومطلع على كلّ ملفاتكم في الاستخبارات بدافع الفضول حسب، فأنا بعد أخذ كلّ شيء بنظر الاعتبار طيب، ولا يحق للطبيب ما يحق لرجل الاستخبارات. وأغلب الظن أنهم كانوا يعرفون مدى فضولي في الاطلاع على ملفاتكم ولكنهم

يغضون الطرف لأمر في ذاتهم، هيه... أنت (يشير إلى أحدهم لا على التعيين)

كم مرة تمنيت أن تعاشر امرأة دافئة تطفئ بها برد فراشك الذي لم تعرف زوجتك كيف تطفئه أو تظن أنها لا تعرف؟

(فترة صمت قصيرة)

وأنت...

(يشير إلى آخر لا على التعيين أيضاً)

كم مرة حاولت الحصول على المرأة التي حركت فيك جمر اشتهاك لها لأنها أشد اثارة من زوجتك؟ وأنت.. أنسيت لهاثك خلف صبية افتنت بسيقانها اللدنة مع أن لزوجتك فتنة أسرة؟

(يرن الموبايل فيذهب اليه. يلتقطه من على المنضدة. يطفئه)

لن أدعك تفسد عليّ يومي الجميل هذا. لن أحتاج لمن يهاتفني هذه الساعة المباركة فأنا لا أريد السهو عن جمالها حتى ولو لحظة واحدة فنحن لا نرى جمالاً كهذا كل يوم.

(يتصنع الالتفات إليها أو إلى مجسم المرأة)
هل تحتاجين لمساعدة ما؟ أنا على أهبة الاستعداد لأي

نوع من المساعدة. اقتربت منها كثيراً.. ظلّت واقفة في مكانها فتجرات على الاقتراب منها أكثر وأكثر حتى كاد جسدي يمسّ جسدها. ابتسمت ابتسامة خفيفة لم أستطع تفسيرها وانصرفت لاستكمال عملها. التقطت الحقيبة التي كانت معها واخرجت منها آلة مدببة وطويلة بعض الشيء. شعرت بالخوف قليلاً، وسألت نفسي ترى ما الذي ستفعله بهذا المثقّب؟ هل استفزّتها كلمات إعجابي بجمالها؟ أنا لم أقصد أن ألحق بها سوءاً ولكن ينبغي أن أكون على حذر شديد فشابة مثلها يمكن أن تفعل ما لا تستطيع غيرها. عجباً لماذا ظلّت واقفة لا تريم حين اقتربت منها كثيراً حتى كدت ألامسها؟! هل قررت أن أن. أن تقتلني مثلاً؟ لا لا هذه فكرة استبعدتها من امرأة لها من الرقة والحسن أكثر ما للملائكة.

(لنفسه)

كان عليّ أن لا أدع المستخدم ينصرف (لنفسه) ولكن ما الذي يمكن أن يفعله رجل هرم مثله. ها؟ لا شيء. لا شيء أبداً. لا أحد يعرف ماذا في نيتها فعله الآن.

(ينظر إليها متوهّماً وجودها)

لقد احمرّت عيناها وانقلبنا إلى جمرتين متقدتين. انظروا إليها (يشير إلى مجسم المرأة)

إنها ترتجف ولا أعرف لماذا. أهي خائفة مني أم ساخرة
من نزقي؟

(بتصميم)

عليّ افتراسها الآن قبل أن تنقلب إلى لبوة تلتدّ بالتهاامي.
سأغلق الباب أولاً كي لا أدع لها فرصة للهرب ثم أنقّص
عليها من الخلف. أحتويها تماماً ولا أدع لها فرصة
تحريك يديها. ولكي أسيطر عليها فإنني سأجرد صدرها
من الثياب فالمرأة تميل إلى ستر نفسها قبل أي شيء آخر
وقد أضطرّ إلى تمزيق كلّ ملابسها لأتمكّن منها. فهي في
مقتبل العمر وأنا في ثلثه الأخير. هذا يعني أن لها بدنًا
قويًا قد يفوق بدني قوة لا أستطيع ردعها ولكن بتمزيق
ملابسها سأحصل على فرصة أكبر في السيطرة عليها فإن
استكانت فهذا ما أتمناه، وإن استهانت فهذا ما يجبرني
على إيلاها. سأشدّها إلى جسدي بقوة، وسأضغط يدي
على صدرها حتى يضيق نفسها فتنهار مستسلمة بين يديّ
وهذا ما أتمناه فعلاً ولكن قبل هذا وذاك عليّ مراقبة
حركاتها بل مراقبة حركات يدها التي لا تزال ممسكة
بالمثقب.

(يتحرك مراقبا إياها بدقة بالغة. يفاجأ)

ما هذا! ماذا تفعل! إنها تحاول ثقب الجدار. هل تختبر
قوة وخز آلتها؟ أم انها تفرغ ما في داخلها من الغضب؟

(يتحرك بسرعة مبتعداً)

يا إلهي. إنها تحاول فتح الباب. ستعجز عن فتحه. أنا أعرف منها بقوته ومثابته وجلّ خوفي أن تهاجمني كقطة شرسة بعد أن يتابها اليأس.

(يتراجع إلى الوراء)

إنها تتقدم نحوي.. ستهاجمني بالتأكيد. ستحاول غرز الآلة في. في... في...

(تتبدل ملامحه)

ما هذا! لقد توجهت إلى الجدار ثانية وهي تحاول أن. أن. لا أعرف بالضبط ماذا تحاول أن تفعل. إنها فرصتي الآن. سأستغل انشغالها بالحائط لأنقضّ عليها الآن. الآن.

(يتحرك نحو الجدار يقف قريباً من المجسّمين. يضرب مجسّم الرجل فيسقطه أرضاً ثم يطوّق مجسّم المرأة بيديه. يضغط على يديها بكلّ ما أوتي من قوة. يمزق الثياب التي تستر ثدييها بيد بينما تستمر الأخرى حاضنة إياها بقوة. نسمع صوت لهائه الشبيه بلهات المضاجعة وعلى حين غرة نسمع صرخته الشبيهة بصرخة الانتهاء من المضاجعة. يترك مجسّم المرأة ساقطاً على الأرض. يستدير نحو جمهور النظّارة وهو يمسك أسفل بطنه فترى المثقب في بطنه وهو يقطر دماً. يتقدّم بضع خطوات نحو جمهور النظّارة ثم يسقط مكوماً على بعضه. نسمع صوت

ارتطام الباب بقوة. يلتفت بصعوبة فيرى شخصاً خلف
الباب لا يستطيع جمهور النظارة رؤيته، يوجه كلامه إليه
بصعوبة بالغة:
ألم تنصرف بعد. اتصل بالمستشفى فوراً.

(تطفأ الأضواء ومن خلال الظلام نسمع صرخة القتل
مدوية وكأنه طعن مرة ثانية).

(انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني)

الجزء الثاني: القتالة

قبل العرض:

{ نرى المنظر السابق نفسه. تظهر القتالة وحيدة على خشبة المسرح وهي في التاسعة عشر من عمرها داخل بقعة صغيرة مشعة بنور محاط بظلام كثيف. إنها مهندسة الديكور الهام أو القتالة كما صار يسميها رجال القضاء. حسنة المظهر، مشرقة الوجه بجسم ممتلئ قليلاً يضيفي عليها جمالاً شرقياً باهراً، ومثيراً، وأخذاً. تلازم وجهها ابتسامة هادئة وفاتنة كالربيع تشعرك أن الحياة جديرة بالعيش، وأنها تشعّ فيك كنّوارة في شجرة باسقة سامقة. يرن موبايلها فتضعه على أذنها بأناة{

القتالة: ألو... تفضل... أهلاً ومرحباً... بماذا أستطيع خدمتك سيدي... عفوا أنا أنسة لو سمحت... لا أبداً هذا لا يستحق الشكر... الديكورات الفخمة عادة تكلف كثيراً... حسناً... حسناً.. إلى اللقاء.

يبدو لي أن هذا الرجل مرتبك وسط فوضى مكتبه حتى أنه لم...

(يرن الموبايل فتتنظر إلى شاشته)

إنه هو مرة ثانية. لا بد أن يكون اتصاله الآن من اجل تثبيت موعد لمعاينة عيادته.

ألو... لا بأس في هذا أبداً... أنا أيضا أفضل أن يكون
الموعد بعد انصراف آخر مرضاك... آسفة سيدي... لا
أستطيع... غدا مشغولة جداً... نعم الجمعة تناسبني...
شكرا لك سيدي... إلى اللقاء

(تغلق الموبايل. تضعه في حقيبتها. تفتح الأضواء فترى
المنظر السابق نفسه)

دخلت عيادته في الموعد المحدد بالضبط فوقف منبهراً
ربما غير مصدق أن المرأة يمكن أن تكون دقيقة في
موعدھا إلى هذه الدرجة، أو ربما لسبب آخر أجهله.
قلت له أنا الهام مهندسة الديكور فنظر اليّ نظرة فاحصة
من قمة رأسي إلى أسفل قدمي وقال:
ما شاء الله هذا جمال رباني باهر يخطف الأبصار، ويأخذ
القلوب، ويمتحن إيمانها.

لم أشعر بالقلق أو الخوف أو الارتباك فأنا واثقة من
نفسي، ولي اعتداد كبير بشخصيتي، ولم يسبق إن مسني
أحد بسوء. أعرف أن الجمال فتنة للناظرين ولكن هل
على المرأة أن تقبع خلف الجدران لمجرد أنها على
قدر وافر من الجمال؟ ولماذا لا يكف الرجال عن
ظنهم أنهم يعيشون في غابة يحق لهم فيها افتراس ما
شاء لهم الافتراس من الطرائد؟ لقد دخلنا مرحلة جديدة
من الحضارة التي دجنت الرجل وجعلته يفكر بطريقة

متحضرة. أنا الآن مع طبيب والطبيب رمز إنساني كبير ولهذا لم أتردد أبداً في المجيء إلى عيادته بمفردي. اردت المباشرة فوراً ولكنه طلب مني بتهديب رفيع أن أحتسي فنجان قهوة قبل الشروع بالعمل. استجبت لطلبه فأحضر القهوة بنفسه. كان يطيل النظر في عيني ربما بحثاً عن شيء مفقود أو ربما عن امرأة فقدتها في الماضي وراح يسترجع صورتها من خلال عيني.. قال:

هل تعرفين يا أنستي أن لون عينيك كلون قهوتي؟! ألا يعني هذا أن بيننا ثمة شيء مشترك؟.. شيء يدعوا إلى التفاوض أو التقارب أو ربما اجتماعنا على الخير على الخير طبعاً.

كلماته جعلتني أرتاب بعض الشيء فارتبكت ولم أعرف كيف أرد عليه... تذكرت عندما عاد بالقهوة لم اسمع وقع أقدامه. وقف عند الباب وهو يسترق النظر لي. استقمت بوقفتي فاسمعتي كلمات تدلّ على هيامه بمفاتن جسدي مما جعل الريبة تدخلني من أوسع شرورها. بدأت العمل بحذر شديد. رسمت مخططاً أولياً للديكور، وحملت وصفة لسرير فحص المرضى على محمل الشك. ترى لماذا يريد لشخصين معاً خلافاً للمعمول به في كل العيادات الطبية! سألته عن ذلك فأجاب:

كي يأخذ المريض راحته بالحركة، وكي ينام بالوضع الذي يشتهي.

لقد ضاعف تلميحه ارتيايي. لم أشعر بخطر الوحدة معه مثلما بدأت أشعر به الآن. إنه يحتاج لرد عنيف يوقف سلسلة أفكاره الخبيثة ولكن ماذا لو كنت مخطئة جزاء ظنوني وقلقي الذي استفحل الآن دفعة واحدة؟ كان علي اكتشاف ما يريده فعلاً فرحت أبذل جهداً مضاعفاً في تثبيت المقاسات، والتركيز على كلماته، وبالكيفية التي يقولها. فلا يصح وضع الثقة في غير محلّها لمجرد أنك تقف أمام طبيب. يقولون ما اختلى رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما وأنا لا أوّمن بوجود الشيطان إلا داخل النفوس الضعيفة المستسلمة للشهوات والنزوات العابرة. كلماته وتلميحاته تدلّ، بما لا يقبل الشك، إنه عازم على أمر ما، لم أستشعر خطره إلا بعد أن وقف ورائي مباشرة، وراح يقترّب مني حتى كاد جسده يمسّ جسدي بلا حياء. ارتجفت خوفاً أول الأمر ثم ثارت ثائرتي وقررت إخافته ليكفّ عن مضايقتي.

ابتعدت عنه بغضب شديد. أخرجتُ المثقب من حقيبتَي اليدوية ورحت أظعن به الجدار. قال ماذا تفعلين يا آنسة! إنك تشوهين الجدار. قلت له بتلميح مقصود: هذا الجدار قديم كرجل مسن عليّ اختبار تحمله قطع الديكور التي سأضعها على منتصفه. طعنت الجدار طعنة

قوية أخافته كثيراً. اغتنمت لحظة خوفه فتحرت نحو
الباب. اللعنة...

(تحاول فتح الباب)

إنه مقفل ولا سبيل إلى فتحه إلا بإخافته أكثر فأكثر..
تقدمت نحوه (وهمياً) ببطء وتحفز للانقضاض عليه وهو
يقف أمام مكتبه. وبدلاً من استمرار التقدم نحوه توجهت
نحو الجدار ثانية. طعنته عدة طعنات وهو ينظر اليّ
بحذر شديد. تراجعت عن الجدار حتى التصق جسدي
بمجسم الرجل والمثقب لا يزال بيدي. استغل وقوفي
خلف مجسم الرجل. تحرك بخطوات مضطربة لم انتبه
لها. انقضض عليّ مثل وحش مغتلم واحاطت ذراعاها يديّ
حتى لم أعد استطيع الحركة أو التخلص منه.

(يمسكها المجسم كما لو أنه الطبيب فعلاً)

مزّق قميصي فانكشف صدري وصار كلّ همي ستر نفسي
منه ولكنه وييد واحدة راح يحاول خلع تنورتني. رجوته
أن يكفّ عن فعلته النكراء. أن يتركني وشأني لكنه لم
يسمع كلمة مما قلت. صرخت راجية إياه أن يدعني
أذهب بسلام لكنه ازداد قوة وكأن عشرات الشياطين
تعمل على غوايته وحقنه برغبة سادية عجيبة. كان لهاته
يفزعني، والتصاقه بجسدي يثير فيّ الاشمئزاز، والنفور،
والخوف في آن. توصلت به قائلة:

أنا مثل ابنتك فلماذا تفعل بي ما لا يفعله الأب بابنته.

عرفت أن لا فائدة من رجائي وتوسلي، وعليّ تخليص نفسي منه بأي طريقة ممكنة. تذكرت أنني لا أزال ممسكة بالمشقة وأن لا مناص من طعنه على الأقل لأتمكن من تخليص نفسي منه، وعلى الرغم من ضيق النفس الذي اتابني جراء شدّ يديه على منتصفي طعنته واحدة في بطنه فتراخت يده واستطعت تخليص جسدي منه. سقط على الأرض فأسرعت إليه. حشرت يدي في جيبه. أخذت المفتاح وهربت إلى خارج العيادة. سمعت ارتطام باب العيادة قبل أن أبتعد كثيراً ثم سمعت صرخته...
(نسمع الصرخة)

كما لو أنه طعن مرة ثانية.

(يحل الظلام والصمت في أرجاء المكان ومع انطلاق الموسيقى تفتح دائرة من الضوء على الممثلة كما في البداية ولكنها تبدو هذه المرة مقيدة اليدين).

هذا ما حدث بالضبط. صدقوني أنا لم أكذب أبداً. لقد أراد اغتصابي فدافعت عن شرفي. أليس هذا ما يقره القانون؟ أنا لم أفعل خلاف ما أقره القانون. إنه شرف المرأة وما من أحد يهمله شرف المرأة أكثر منها. لم أرد تلطيف سمعة عائلتي بالعار. لم أرد لأمي أن تعيش بقية عمرها تحت سطوة الشعور بالخزي. ولم أرد لأبي العيش مطأطأ الرأس تحت سطوة الشعور بالعار. أنا

لم اقتل الطيب أبداً فضربة واحدة بمثقب لا تقتل ولا يمكن أن تكون سبباً للموت. إنه هو من قتل نفسه. لقد سمعت صرخته حال خروجي من عيادته. أو ربما قتله شخص آخر لا أعرفه ولا أعرف كيف قتله.. لقد سمعت صرخته حسب. ابحثوا عن القاتل رجاءً فأنتم تمتلكون الوسائل للوصول إليه. ألم تصلوا إليّ من خلال فحوصكم للموبايل الذي كان يستخدمه؟ ألم تجدوا رقم موبايلي ضمن آخر عشر مكالمات له قبل موته؟ لماذا تصرّون على جعلني قاتلة وأنا لست سوى امرأة حاولت الدفاع عن نفسها؟ (تصرخ متألمة)

لماذا تستمرون بتعذيبي؟ لماذا يطيب لكم تعذيب امرأة لمجرد انكم تتهمونها بالقتل.. لماذا؟ (تصرخ ثانية) مهما فعلتم بي فإنكم لا تستطيعون إرغامي على الاستسلام لكم. كفاك ايها الخنزير القذر. ابعث الملف لأسيادك القضاة وليحكموا عليّ ما شاء لهم الحكم. فلم تعد لديّ الرغبة بالعيش وسط القذارة (تصرخ)

(يسقط رأسها إلى الأمام كما لو أنها دخلت في غيبوبة. فترة صمت. تستيقظ. ترفع رأسها. تناجي أمها) أمي. آه يا أمي لا يريد هذا المحقق تصديقي فقط يريد مني أن اعترف بجريمة لم أقترفها إلا دفاعاً عن النفس

والعرض. لقد وضعني في الحبس الانفرادي عقوبة أولية لي ثم بدأ بتعديبي ما شاء وطاب له التعذيب ولم يتورع عن مس مناطق من جسدي. قلت له:

أأنتَ من يدافع عن شرف البلاد والعباد. أنتَ من يحق الحق، ويبطل الباطل فثارت ثائرتة وراح يضربني بكلِّ ما أوتي من قوة الكراهية والحقد الدفين وكأني لست من هذه البلاد التي علمتني على مدى تسعة عشر عاماً كيف أحبّها، وأجلّها، وأسكنها في فؤادي. يا للعار الذي يجلل قوانينهم كلِّ يوم وليلة. هنا عرفت للمرة الأولى أن القانون في بلادنا يساند المجرمين الأثرياء، ويساند الأطول لحية في البلاد، والأشدّ ظلماً وظلامية في العالم كلّهُ. هنا عرفت أنني لا أساوي قلامه ظفر متّسخ بشتى أنواع القذارات والموبقات من أظفارهم المقلّمة بعناية فائقة. لقد قال المحقق في نهاية تحقيقاته انني أسير بقدمي إلى الاعدام، وأنا واثقة من كلامه. إنها المرة الأولى التي لم يكن كاذباً فيها من عشرات وربما مئات المرات التي مارس فيها الكذب علانية وجهراً.

أمي.. لقد أعدّوا عشرات الأضيّير عن قضيتي وسيرسلونها إلى القضاء، وسيحكم القاضي عليّ بالموت شنقاً لا شيء إلا إرضاء لعائلة طبييهم الثري، ولعائلتهم الاستخباراتية الكبيرة"

(يهبط حبل المشنقة من الأعلى)

لقد كان مقرراً اعدامي قبل أيام من الآن لكنه أرجى إلى وقت آخر بسبب حملات التضامن معي في كل أرجاء العالم.

(يتوقف حبل المشنقة عن الهبوط في منتصف المسافة)
كلّ العالم يا أمي مقتنع ببراءتي إلا قضاة هذا الوطن. وطننا يا أمي. يريدون له أن يجلل بالعار تحت مسميات الشرع، والدين، والعدالة. إنهم لا يرغبون بوجودنا قط يا أمي لذا قررت احتضان الموت بعد إن يئست من محكمتهم. ليكن رأسك مرفوعاً دوماً بابتك التي وضعوا إكليل الشوك على رأسها وما عرفوا إن هذا الإكليل هو ضمانة خلود الأتقياء في هذا العالم. لا تستسلمي للقنوط يا أمي فغداً في العالم الآخر سأقاضيهم في محكمة الله. " سوف أقوم باتهام المفتشين، وسوف أتهم القاضي، وقضاة المحكمة العليا في البلاد. في العالم الآخر، أنا وأنت من سيوجه التهم، وغيرنا هم المتهمون. دعينا نرى ما يريد الله. أنا أحبك "

يهبط حبل المشنقة حتى يلامس رأسها.. تدخل رأسها في انشوطته. يسحب الحبل قليلاً إلى الأعلى ومع ضربة صنح قوية مدوية تفتح البوابة التي تقف عليها فتطفأ الأضواء ويسود الظلام بينما تستمر موسيقى الختام حتى تفتح الأضواء ثانية.

انتهت

كتب للمؤلف

- 1 طقوس صامته ومسرحيات أخرى دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد 2000
- 2 ليلة انفلاق الزمن.. مسرحيات صائتة اتحاد الكتاب العرب/ دمشق 2001
- 3 البناء الدرامي في مسرح محي الدين زنكنة/ نقد دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد 2002
- 4 ارتحالات في ملكوت الصمت.. مسرحيات صامته دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد 2004
- 5 المخيلة الخلاقة في تجربة زنكنة الابداعية/ نقد منشورات مجلة بيفين/ السليمانية 2009
- 6 المقروء والمنظور/ تجارب محدثة في المسرح العراقي سردم للطباعة والنشر/ السليمانية 2010
- 7 المكان ودلالته الجمالية في شعر شيركو بيكس/ نقد دار نينوى للنشر والتوزيع/ دمشق 2011
- 8 قاسم مطرود في مرايا النقد المسرحي/ اعداد وتقديم دار نون للنشر والاعلام/ القاهرة 2011
- 9 تجليات السرد وجمالياته في قصص زنكنة/ نقد دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد 2011
- 10 كتاب الصوامت دار التكوين للترجمة والنشر/ دمشق 2012

- 11 التأسيس والتجريب في مسرح عبد الفتاح قلعه جي اتحاد
الكتاب العرب/ دمشق 2013
- 12 شهوة النهايات/ مسرحيات عراقية صائتة دار الشؤون الثقافية
العامة/ بغداد 2013
- 13 اشكالية الغياب في حروفية أديب كمال الدين دار ضفاف/
بيروت 2014
- 14 الرسم والفوتوغراف في مدينة البرتقال قوس قرح للطباعة
كوبنهاجن الدنمارك 2014
- 15 مذكرات مونودرامية/ نصوص مسرحية صائتة دار ضفاف/
بيروت 2016

كتب عن المؤلف

- 1 سيرة كاتب ومدينة، منشورات مجلة الف/ دمشق/ د.صالح
الرزوق.
- 2 الاتجاه المعاكس في مسرحيات صباح الأنباري، منشورات
مجلة الف/ دمشق/ د. صالح الرزوق.